قرآنيات

بحوث وافكار وتدبرات قرآنية

بقلم : يحيى غالي ياسين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيّه الأمين و المرسول بالقرآن المُبين ، وعلى آله الهداة المهديين ، وصحبه المنتجبين ، وبعد ..

قال تعالى { إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } الإسراء ٩

لا زال القرآن الكريم آخر اهتماماتنا للأسف الشديد ، ولا زال التعاطي معه تعاطياً مُخجلاً لا يرقى الى الغرض الذي منّ اللّه به علينا هذا الكتاب المجيد ، فلم نهتد بهدي القرآن ولم نستضيء بنوره ولم نستشف بشفاءه .. (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) الفرقان ٣٠

ولقد انعكس هذا الإعراض والتقصير على واقع المسلمين

والتراجع القهقري الشديد الذي هم عليه من بين الأمم و الشعوب ، فلمّا كان كتاب الله إماماً للمسلمين قادهم الى أن يكونوا أعظم الأمم ، ولمّا جعلوه وراء ظهورهم ساقهم سوء عملهم الى ما همّ عليه الآن من الذلة والخيبة والخسران ، ذهبت ريحهم واستعمرهم الغرب والشرق .. !

يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي أن أي نهضة لمجتمع لا تتم إلّا في نفس الظروف التي شهدت ميلاده .. ، وعليه : فالمجتمع المسلم لا يمكن أن ينهض كمجتمع اسلامي إلا أن يخلق لنفسه ظروف العصر الذهبي للمسلمين ، ذلك العصر الذي كان للقرآن الكريم فيه قيمة عظمى ، ولتعاليم الإسلام شأن بالغ الأهمية .. المجتمع الذي ضحى بنفسه من أجل عقيدته وشريعته .

لا خيار لنا غير الرجوع الى كتاب الله المجيد ، لا بد أن نستنطقه ونستلهم منه أفكارنا ونستفتيه في جميع خطواتنا ، أن يكون حاضراً في عقلنا ومشاعرنا ، لكي يفتح لنا خزائنه ويوشي لنا أسراره ويفيض علينه بركاته (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) الواقعة ٧٧ .

ورغم اعترافي بقصوري وتقصيري اتجاه القرآن الكريم إلا أن رحمات الله قد شملتني بالاشتغال به في بعض الأحيان ، فكتبت بعض البحوث والمقالات والدروس القرآنية ، ولكونها نافعة للثقافة القرآنية المعمقة بعض الشيء رأينا جمعها وإعادة النظر في أوراقها وتقديمها للقارىء الرسالي المؤمن ..

ندعوا اللّه أن يكون القرآن نوراً نهتدي به ، وصراطاً نسير عليه في دار الدنيا وشفيعاً نستشفع به في دار الآخرة فإنه كما ورد شافع مشفّع .. والحمد لله أولا ً وآخرا ، ظاهراً وباطنا ..

يحيى

في معنى لفظ القرآن

القرآن : مصدر ، جُعلَ اسماً للكتاب المُنزل للنبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) (١) ، نزل لهداية الناس إلى السعادة والكمال والبرّ والخير في الحياة الدنيا والآخرة (٢) .

وهو أيضاً : عَلَم (اسم خاص) للكتاب المُنزل على نبي ا لإسلام ، حافلا ً بمباني شريعته وآية باقية على صدق رسالته ، وليكون تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً للعالمين (٣) .

أصل لفظة (القرآن) : وفيه أقوال ..

● من قرى : قال ابن فارس (القاف والراء والحرف المعتلّ يدلُ على جمع واجتماع ، من ذلك القرية سمّيت قرية لا جتماع الناس فيها) ، قالوا : ومنه القرآن كأنه سمّي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك (٤) .

---

(1) التحقيق في كلمات القرآن الكريم / العلامة مصطفوي : مادة قرء .

(٢) نفس المصدر .

(3) التمهيد في علوم القرآن / محمد هادي معرفة : ج١ ص١٣

(4) معجم مقاييس اللغة : ج ص ٧٨.

قال بعض العلماء (١) : تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب اللّه لكونه جامعاً لثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله (وتفصيل كل شيء) ، وقوله تعالى (تبياناً لكل شيء) .

● من قراءة : قال العلامة مصطفوي : وهذه التسمية (أي القرآن) بلحاظ أنّه يقرأه اللّه ويقرأه الرسول ويقرأه الناس ، وليس شيء غيره تكون له هذه الخصوصيات الثلاثة ، أما قراءة اللّه عز وجل ، فيقول تعالى (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) ، وأما قراءة النبي الأكرم فيقول تعالى (وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكثٍ) .. وأما قراءة الناس فيقول تعالى (فاقرءوا ما تيسّر من القرآن) (٢) .

● أصلها سرياني : قريانة بمعنى تلاوة النصوص الدينية

(٣) . ورُدّ هذا الرأي بأن تواجد المشتركات في اللغات الشرقية ولا سيما السامية منها ، والاشتراك هنا لا يعني الا قتباس . وكذلك : الكلمة ذات أصل عربي عريق في اصلها مصدر (قرأ ، يقرأ ، قراءة ، قرآناً) والاشتقاق وكثرة التصريفات - ولا سيما الثلاثيات - دليل على الأصالة في اللغة .

---

(١) التمهيد في علوم القرآن : ج ١ ص 14.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم مادة قرء .

(٣) التمهيد للعلامة معرفة : ج ص 14 عن: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية د. فضل حسن عباس : ص ٢٣.

أسماء القرآن ودلالاتها : ذكر القرآن الكريم لنفسه عد ّة أسماء ذات دلالات تشير إلى أغراضه وخصائصه وفضائله ، ومنها :

■ الفرقان : قال تعالى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) الفرقان ١، أي يفرق بين الحق و الباطل .

■ الكتاب : قال تعالى (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) البقرة ٢، إشارة إلى ضبطه ورسمه في كلمات ذات معان ومفاهيم ضمن سطور وصحف وجمعها في كتاب الذي هو مجموعة صحائف .

■ كلام الله : قال تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) التوبة ٦، وهو مشتق من الكلم أي التأثير .

■ الذكر : قال تعالى (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) الزخرف ٤٤ ، بمعنى الشرف وبمعنى ذكر من الله بـ المواعظ والعِبَر وذكر الفرائض والأحكام وذكر الأمم الغابرة .

■ بصائر (هذا بصائر) وبيان (هذا بيان للناس) ، وبلاغ (هذا بلاغ للناس) ..

وهناك أسماء أخرى يبيّن كل منها صفات القرآن الكريم وسماتهِ وخصائصهِ .. وبعض هذه الأسماء مشترك مع كتب سماوية أخرى ، كالفرقان والكتاب ، قال تعالى (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) البقرة ٥٣ ، ووصفت بنفس بعض الصفات ، كالهدى والنور .. قال تعالى (وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) المائدة ٤٦ . ويبقى أسم (القرآن) من أخصّ اسماءه الكريمة ..

قواعد في القراءة القرآنية

لكل مادة قراءة كيفية خاصة بقرائتها غير تلك القواعد العامة التي تشترك بها كل قراءة ، والقرآن الكريم هو من أهمّ مواد القراءة على الإطلاق ، كونه كلام الرب وفوق كلام البشر ، الا أن الله تعالى صاغه في قوالب ووضع له قواعد

إن عرفناها واتبعناها نكون عندها قد فهمنا كلامه وفزنا بمقاصده وغاياته .

فيما يلي عشر قواعد في القراءة القرآنية استقرءناها من النصوص الشرعية الشريفة (قرآن وحديث) ، نسأل الله تعالى ان يجعلنا وإيّاكم من أهل القرآن وان يرزقنا هديه وبركته وشفاعته :

- القاعدة الأولى : قراءة القرآن في البيت

+ ففي الكافي ، ج2 ص610 ، عن النبي الأكرم ص واله : نوّروا بيوتكم بتلاوة القرآن ولا تتخذوها قبوراً كما فعلت اليهود والنصارى ، صلّوا في الكنائس والبيع وعطلوا بيوتهم ، فإن البيت إذا كثر فيه تلاوة القرآن كثر خيره واتسع أهله وأضاء لأهل السماء كما اضيء نجوم السماء لأهل الدنيا .

+ نفس المصدر ، عن أبي عبد الله ع : ان البيت إذا كان فيه المرء المسلم يتلو القرآن يتراءاه أهل السماء كما يتراأى أهل الدنيا الكوكب الدري في السماء .

+ نفس المصدر ، عن ابي عبدالله ع قال : قال أمير المؤمنين ع : البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض وان البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عز وجل فيه تقلّ بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين .

• القاعدة الثانية : قراءة القرآن في المصحف

فقد نقرأ بعض الآيات أو بعض السور في بعض الكتب الدينية او نجدها في صفحات منفصلة او في جهاز الكتروني او نقرأها عن ظهر قلب .. الخ ، ولكن قرائتها في المصحف الشريف الذي ينطوي على جميع سور وآيات القرآن الكريم له خصوصيته الشرعية المميزة :

+ الكافي ج2 ص613 ، عن ابي عبدالله ع : من قرأ القرآن في المصحف مُتّع ببصره وخُفّف عن والديه وإن كانا كافرين .

+ نفس المصدر ، سأل إسحاق بن عمار الامام الصادق ع : جعلت فداك اني أحفظ القرآن على ظهر قلبي فاقرأه على ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف ..؟ فقال له الامام ع : بل أقرأه وانظر في المصحف فهو أفضل ، أما علمت أن النظر في المصحف عبادة .

• القاعدة الثالثة : الاستعاذة من الشيطان الرجيم قبل القراءة

وهذا ما نصّ عليه الذكر الكريم ، قال تعالى (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ..

+ تفسير الصافي ج3 ص155 ، عن العياشي عن الامام الصادق ع قيل له كيف أقول ..؟ قال : تقول أستعيذ بالله

السميع العليم من الشيطان الرجيم ، قال الرجيم أخبث الشياطين .

- ## القاعدة الرابعة : كم آية نقرأ ..؟

وردت عدة ارقام لعدد الآيات التي يُستحب قرائتها ، ويختلف العدد بحسب الزمان والمكان والحال ..

+ خمسون آية كل يوم / الكافي ج2 ص609 ، عن الإمام الصادق ع قال : القرآن عهد الله إلى خلقه ، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية .

+ ختمة في شهر أو أكثر / نفس المصدر ص617 عن محمد بن عبدالله : قلت لأبي عبدالله ع : اقرأ القرآن في ليلة ..؟ قال : لا يعجبني أن تقرأه في أقل من شهر .

+ ختمة في كل ثلاث ليال من شهر رمضان/ نفس المصدر ص 619 ، سأل ابو بصير الإمام الصادق ع : اقرأ القرآن في رمضان في ليلة ؟ فقال : لا ، فقال : في ليلتين ؟ فقال : لا ، فقال : في ثلاث ؟ فقال : ها - وأومأ بيده - نعم شهر رمضان لا يشبهه شيء من الشهور ، له حق وحرمة ، أكثر من الصّلاة ما استطعت .

+ ختمة من جمعة الى جمعة في مكة / ثواب الاعمال للصدوق ص128 : عن الامام الباقر ع : من ختم القرآن بمكة من جمعة الى جمعة وأقل من ذلك وأكثر وختمه في يوم الجمعة كتب الله له من الأجر والحسنات من أول جمعة

كانت في الجنيا الى آخر جمعة تكون فيها ، وإن ختمه في سائر الايام فكذلك .

+ ما يقرأ في الليلة الواحدة / المصدر السابق ، عن الامام الباقر ع : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه واله وسلّم من قرأ :

- من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين .

- ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين .

- ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين .

- ومن قرأ مائتي اية كتب من الخاشعين .

- ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين .

- ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين .

- ومن قرأ الف آية كتب له قنطار ، والقنطار خمسمائة الف مثقال ذهباً والمثقال أربعة وعشرون قيراطاً ، اصغرها مثل جبل أحد ، واكبرها ما بين السماء والأرض .

- القاعدة الخامسة : ترتيل القرآن الكريم

قال تعالى (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) المزمل 4 . والترتيل حسب تعريف العلامة مصطفوي في (التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، مادة - رتل -) - بتصرف - : ترتيل اللفظ / بمعنى قراءة القرآن على نحو إبانة الحروف والكلمات ، و

التمهل فيها والتمكث .

ترتيل المعنى / التوجه الى الحقائق ، وهو يحتاج الى تحقق حالة روحانية وانقطاع وحضور تام (قم الليل .. ورتل القرآن ..) .. انتهى

ولعل كلا المعنيين جاءا في هذه الرواية :

+ في الكافي ج2 ص614 ، عن عبدالله بن سليمان قال : سألت ابا عبدالله ع عن قول الله عز وجل : ورتل القرآن ترتيلا ، قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : بيّنه تبياناً ولا تهذّه هذّ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن افزعوا قلوبكم القاسية ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة .

- القاعدة السادسة : قرائته بالحزن

+ الكافي ج2 ص614 ، عن الإمام الصادق ع : إنّ القرآن نزل بالحزن فاقرءوه بالحزن .

- القاعدة السابعة : القراءة بصوت حسن وليس بألحان اهل الفسق

+ المصدر السابق ، عن الامام الصادق ع : قال رسول الله

ص واله : اقرؤوا القرآن بألحان العرب وأصواتها ، وإيّاكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر فإنه سيجىء من بعدي أقوام يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية ، لا يجوز تراقيهم ، قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم .

- ## القاعدة الثامنة : القراءة بتدبر

قال تعالى (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) محمد 24

والتدبر : التأمل في الآية عقيب الآية ، أو التأمل بعد التأمل في الآية . (الميزان ج5 ص19) .

يقول السيد السبزواري قدس سره في تفسيره مواهب الرحمن (ج 9 ص94) : أن الرجوع الى القرآن والتدبر فيه والتفكير في معانيه والعمل بما ورد فيه ، توجب رفع الشك واختلاف النفوس وضعف الايمان ، وتورث ثبات القلوب واستقامتها ، والطاعة التامة لله والرسول .

- ## القاعدة التاسعة : لا يمسّه الا ّ المطهرون

قال تعالى (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) الواقعة 79 ، هذه الآية تشمل المتعاطين مع القرآن الكريم على جميع المستويات ، قراءةً وتدبراً وعملا ً .. الخ ، لهذا فمن معاني

المسّ والتطهير التي أشارت اليها بعض التفاسير (ك الميزان) هي :

+ المسّ الظاهري والتطهير من الحدث والخبث ، فالمتعاطي مع المصحف الشريف ينبغي له ان يكون على طهارة لكي يستطيع ان يمسّ (يلمس) حروف وكلمات القرآن الكريم ..

+ مسّ القرآن هو العلم به ، والمطهرون - اسم مفعول من التطهير - هم الذين طهّر اللّه تعالى نفوسهم من أرجاس المعاصي وقذارات الذنوب أو مما هو أعظم من ذلك وأدق وهو تطهير قلوبهم من التعلق بغير اللّه .

- القاعدة العاشرة (مسك الختام) : اتّباع القراءة (العمل بالقرآن)

القرآن الكريم كتاب قراءة (ومنها أشتق أسمه) وكتاب عمل ، فهو ليس كتاب مطالعة أو معلومات عُدّت للثقافة العامة ، وإنما هو برنامج عام ومتكامل وتطبيقي لسلوك الفرد ولسلوك المجتمع ومسيرته في هذه الحياة وبإتجاه ربه وخالقه :

+ قال تعالى (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)

+ قال تعالى (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) الأعراف 3

+ (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) الزمر 55

+ الكافي ، ج2 ص603 ، عن الإمام الصادق ع : الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة .

+ كان رسول اللّٰه ص خُلُقه القرآن كما ورد ، وكان أهل البيت ع هم القرآن الناطق .

الى هذا القدر نكتفي من قواعد القراءة القرآنية ، والحمد لله رب العالمين .

نزول القرآن الكريم

للقرآن الكريم إنزال وتنزيل :

النزول : هو الورود على المحلّ من العلوّ ، والفرق بين الإنزال والتنزيل ، أن الإنزال دفعي والتنزيل تدريجي ، (فإنه) نزل دفعة على سماء الدنيا في شهر رمضان (شهر رمضان الذي أنزل في القرآن) ، ثم نزل على رسول (صلى اللّٰه عليه وآله وسلم) نجوماً وعلى مكث في مدة ثلاث وعشرين سنة - مجموع مد ّة الدعوة - (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلْناه تنزيلا) .. الميزان ج٢ ص١٤ بتصرف قليل .

معنى نزوله دفعة واحدة إلى سماء الدنيا : نذكر ما ذكره العلامة الطباطبائي (قدس سره) :

إن للقرآن الذي بين أيدينا حقيقة أخرى وراء ما نفهمه بـ الفهم العادي الذي يقضي فيه بالتفرق والتفصيل والانبساط والتدريج .. (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) ، فإن هذا الإحكام مقابل التفصيل والتفصيل هو جعله فصلاً فصلاً وقطعةً قطعة .. والآية ناطقة بأن هذا التفصيل المشاهد في القرآن إنما طرأ عليه بعد كونه محكماً غير مفصّل .. وأوضح منه قوله تعالى (حم ، و الكتاب المبين ، إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلّكم تعقلون ، وأنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) فإنه ظاهر في أن هناك كتاباً مبيناً عُرض عليه جعله مقروّاً عربياً وإنما أُلبس لباس القراءة والعربية ليعقله الناس وإلا فإنه - وهو في أم الكتاب - عند الله عليّ لا يصعد إليه العقول ، حكيم لا يوجد فيه فصل وفصل ...

وأما قبل التنزيل فله موقع في كتاب مكنون عن الأغيار وهو الذي عبّر عنه في آيات الزخرف بأم الكتاب وفي سورة البروج باللوح المحفوظ حيث قال تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) وقوله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) على إنزال حقيقة الكتاب والكتاب المبين إلى قلب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) دفعة كما أنزل القرآن المفصّل على قلبه تدريجياً في مدّة الدعوة النبوية ، وهذا هو الذي يلوح من نحو قوله تعالى (ولا

تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحْية) .. فإن الآيات ظاهرة في أن رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) كان له علم بما سينزل عليه فنهى عن الاستعجال بالقراءة قبل قضاء الوحي . الميزان ج٢ص١٧ وما بعدها ..

أول ما نزل و آخر ما نزل من القرآن : أمّا أول ما نزل ففيه أقوال - من كتاب التمهيد للعلامة معرفة ج١ ص ١٥٧ باختصار - :

القول الأول : ثلاث أو خمس آيات من أول سورة العلق ، وذلك حينما جاءه رسول الحق جل جلاله وهو في غار حراء (القصة المعروفة) . فروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) (أول ما نزل على رسول الله (صلى الله عليه و اله) : (بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك ..) الكافي ج٢ ص٦٢٨ .

القول الثاني : سورة المدثر ، روي عن ابن سلمة قال : سألت جابر بن عبدالله الأنصاري ، أي القرآن أنزل قبل ؟ قال : يا ايها المدثر ، قلت : وأقرأ باسم ربك ؟ قال : أحدثكم ما حدثنا به رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) : اني جاورت بحراء ، فلما قضيت بجواري نزلت فاستنبطت الوادي ، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي - ولعله سمع هاتفاً - ثم نظرت الى السماء فإذا هو - يعني جبرائيل - فأخذتني رجفة ، فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني فأنزل الله (يا أيها المدثر ..) صحيح مسلم ج١ ص٩٩ .

القول الثالث : سورة الفاتحة ، قال الزمخشري : أكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل - الكشاف ج٤ ص٧٧٥ - . وروى العلامة الطبرسي عن الاستاذ احمد الزاهد في كتابه (الايضاح) بإسناده عن سعيد بن المسيب ، عن علي بن ابي طالب (عليه السلام) أنه قال (سألت النبي صلى اللّه عليه واله عن ثواب القرآن فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء فأول ما نزل عليه بمكة : فاتحة الكتاب ثم اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ...) مجمع البيان ج١٠ ص٤٠٥ .

وبالنسبة إلى آخر ما نزل : ففيه أقوال أيضا منها /

القول الأول : سورة النصر ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) (وآخر سورة نزلت إذا جاء نصر اللّه والفتح) - تفسير البرهان ج١ ص٢٩ - .

واخرج مسلم عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت (إذا جاء نصر اللّه والفتح) - الاتقان ج١ص٧٩ - .

القول الثاني : سورة براءة ، وروي آخر سورة نزلت براءة ، نزلت في السنة التاسعة بعد عام الفتح عند مرجعه صلى اللّه عليه واله من غزوة تبوك ، نزلت آيات من أولها فبعث بها النبي مع علي (عليه السلام) ليقرأها على ملأ من المشركين . التمهيد للعلامة معرفة ج١ ص١٦٠ .

القول الثالث : وروي أن آخر آية نزلت (واتقوا يوماً

ترجعون فيه إلى اللّٰه ثم توفّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) البقرة ٢٨١ .. وعاش الرسول (صلى اللّٰه عليه و اله) بعدها أحداً وعشرين يوماً وقيل سبعة أيام - تفسير شبر ص٣٨ - .

القول الرابع : قال ابن واضح اليعقوبي : وقد قيل : إن آخر ما نزل عليه (صلى اللّٰه عليه واله) (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) ، قال وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات اللّٰه عليه بغدير خم - تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٣٥ - .

أسباب النزول

كانت آيات القرآن الكريم تنزل على نحوين :

النحو الأول : تنزل بناءً على سبب داع للنزول ، كإجابة سؤال يرفع للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أو تحديد موقف يجدّ عند المسلمين ، أو حُكماً لواقعة حدثت ..

النحو الثاني : تنزل ابتداءً لا عن سبب .

ولهذا يهتم المسلمون والعلماء منهم خاصة بمعرفة واستقصاء أسباب نزول الآيات القرآنية التي نزلت على النحو الأول ، لأن ذلك يساعد على معرفة مدلول الآية ومفهومها من خلال ظروفها المحيطة بها وسياق نزولها ، وكذلك معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ، فكان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أقدر الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) على تفسير القرآن وهو القائل (والله لم تنزل آية الأ وأنا أعلم فيما نزلت وفيمن نزلت وأين نزلت) .

ومن أمثلة أهمية تأثير معرفة سبب النزول على مدلول ا لآية هو قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم) ، فالمتبادر إلى الذهن من الآية قبل معرفة سبب النزول هو أن المصلي له أن يصلي بأي إتجاه كان ، وهذا خلاف الإجماع ، ويتعارض مع قوله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) ، ولكن بعد

التعرف على سبب النزول يتضح أنها نزلت في صلاة التطوع وعلى الراحلة تصليها حيثما توجهت إذا كنت في سفر ، وأما الفرائض فينبغي التوجه بها الى المسجد الحرام .

والآيات التي لها سبب نزول على قسمين أيضا :

الأول : تعدد الأسباب والنازل واحد ، بمعنى أن نفس الآيات تنزل على أكثر من سبب ، فكما ورد أن سورة الإخلاص أنها نزلت مرتين ، إحداهما بمكة جواباً للمشركين من أهلها ، والأخرى بالمدينة جواباً لأهل الكتاب من أهلها . وهذا القسم يفسّر بعض الاختلافات الخاصة بأسباب النزول ، فبعضهم يذكر سبباً معيناً والآخر يذكر سبباً آخراً وعندها يكون كلاهما على حق .

الثاني : تعدد النازل والسبب واحد ، مثاله أن أم سلمة قالت : يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء .. فأنزل الله تعالى (آية 95) من آل عمران و (آية ٣٠) من سورة الأحزاب .

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب : اتفق علماء الأصول على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، أي أن السبب الذي نزل على أثره الوحي لا يمنع من تطبيق الآيات النازلة بسببه على كل الوقائع والأحداث المماثلة لذلك السبب ، كآية الظهار التي نزلت في قصة (سلمة بن صخر)

حين ظاهرَ زوجته وشمل حكمها على كل المسلمين . ومما يؤكد هذا المعنى ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) : إن القرآن حي لا يموت ، وإن الآية حية لا تموت ، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن ، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين .

ترتيب القرآن الكريم

ترتيب القرآن الكريم الذي بين أيدينا يقع على شكلين ، هما :

الترتيب الأول : ترتيب الآيات داخل السورة الواحدة ، وهو على ثلاثة أشكال أيضا :

(١) : حسب النزول ، حيث كانت السورة تبتدأ بالبسملة ثم تتوالى الآيات متتابعة لحين نزول بسملة جديدة فيعرف أن السورة الأولى انتهت ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) (كان يعرف انقضاء السورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ، ابتداء الأخرى) تفسير العياشي ج ١ ص١٩ . وعن ابن عباس (كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يعرف فصل سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ، فيعرف أن السورة قد ختمت وابتدأت سورة أخرى) تاريخ اليعقوبي ج

٢ ص٢٧ .

(٢) : دخلت بعض الآيات في بعض السور على غير ترتيب نزولها وذلك بنص من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وتعيينه الخاص ، حيث كان يأمر بوضع الآية المعيّنة في موضع خاص ضمن السورة المعيّنة ، روى أحمد في مسنده عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت جالساً عند رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إذ شخص ببصره ثم صوّبه ثم قال : أتاني جبرائيل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة (إن الله يأمر بالعدل والإ حسان وإيتاء ذي القربى ..) فجُعلت في سورة النحل بين آيات الاستشهاد وآيات العهد . وربما كانت تنزل السورة وقبل أن تكتمل فتفتتح سورة أخرى وتكتمل هذه الأخيرة قبل أن تكتمل الأولى .

(٣) : هنالك آيات ثبتت في مواضع من السور لا تلتئم وتأريخ نزولها ، ولا يعرف مدى تثبيتها من قبل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في مواضعها .

الترتيب الثاني : ترتيب السور داخل المصحف ، وهذا قد حصل بعد وفاة النبي - صلى الله عليه و آله وسلم - حيث كانت السور مرتبة الآيات ومثبتة الأسماء (على رأي البعض) في عهده - صلى الله عليه وآله وسلم - ، بمعن ى أن ترتيبها ليس توقيفياً ، وجاء جمعه على شكلين :

(١) : جمع الإمام علي (عليه السلام) وفق ترتيب النزول ، المكي مقدّم على المدني والمنسوخ على الناسخ ، قال الكلبي : لما توفي رسول اللّه - صلى اللّه عليه و آله وسلم - قعد علي بن أبي طالب (عليه السلام) في بيته فجمعه على ترتيب نزوله ، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير – التسهيل لعلوم التنزيل ج ١ ص ٤ - . وقال عكرمة : لو اجتمعت الإنس والجن على أن يألفوه كتأليف علي بن أبي طالب (عليه السلام) ما استطاعوا – الاتقان ج١ ص١٦٦ -

(٢) جمع الصحابة ، وهي متعددة ومختلفة فيما بينها في بعض السور ، وكان الطابع العام هو تقديم السور الطوال على القصار ابتداءً من السبع الطوال (البقرة وآل عمران و النساء والأعراف والأنعام والمائدة ويونس) ثم المئين ، وهي التي تربو على المائة ثم المثاني وهي التي لا تبلغ المائة ثم الحواميم وهي التي تبدأ ب (حم) وهي سبع سور ثم الممتحنات ثم المفصّلات ، وسميّت بذلك لقرب فواصلها . ومن هذه المصاحف ، وهي المصاحف : مصحف ابن مسعود ومصحف أُبي بن كعب .. ، ثمّ وحّد عثمان بن عفان المصاحف وهو الترتيب الحاضر .

رأي معارض : هنالك رأي يعتمد توقيفية ترتيب السور أيضا ، وقد ذهب الى هذا الرأي جماعة من العلماء ومنهم علم الهدى السيد المرتضى حيث قال : كان القرآن على عهده - صلى اللّه عليه وآله وسلم - مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه

الآن ، ونسب العلامة معرفة أيضاٍ هذا الرأي للسيد الخوئي (قدس سره) .

♧♧♧♧

جمع القرآن

كان يتلقى الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله وسلم) القرآن الكريم نجوماً يقرأه على أسماع المسلمين .. وهكذا على طول مدة الدعوة الإسلامية ، ولقد حث النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) المسلمين على حفظه و كتابته وتعلّمه وتعليمه ، وهذا ما كان فعلا ً حيث حرص المسلمون على ذلك وبذلوا جهدهم على حفظه وجمعه

وتعلمه ، ولقد مرّ القرآن الكريم بعد تنزيله على قلب الرسول بعدّة أدوار ، بعضها متزامنة وبعضها الآخر متعاقبة :

الدور الأول : الاستظهار ، أي الحفظ على ظهر قلب كما يقال ، حيث كان صدر الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وصدور أصحابه وعاءً لحفظ القرآن في عهد النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، ولقد أنتشر حفظه بين الرجال و النساء .

الدور الثاني : تدوين القرآن ، حيث كان يدوّن في عهد الرسول (صلى اللّه عليه و آله وسلم) على العسب (جريد النخل بعد تجريده من الخوص يكتب على الطرف العريض منه) واللِحاف (صحائف الحجارة الرقاق) والرقاع (من جلد أو ورق) والأكتاف (عظم بعير أو شاة) والأقتاب (ا لخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليحمل عليه) ، وكانت تودع في بيت الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، قال أبو عبد اللّه الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هج) في كتاب فهم السنن (كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه صلى اللّه عليه و آله وسلم كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب .. كان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله وسلم) - الإتقان ج١ ص٥٨ .

الدور الثالث : جمع القرآن في مصحف واحد ، وهذا تم بعد

وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي عهد أبي بكر ، وأول من جمعه هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، روى العياشي في تفسيره عن الإمام علي (عليه السلام) : إن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أوصاني إذا واريته في حفرته أن لا أخرج من بيتي حتى أؤلف كتاب الله ..) وعن محمد بن سيرين قال : لما توفي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أقسم على أن لا يرتدي برداء الا ّا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف - ابن كثير ، فضائل القرآن ص ١٤ - . وقد ذكر الكليني : إن علي (عليه السلام) قال عندما جمع القرآن : هذا كتاب الله ... وقد جمعته من اللوحين .

وورد أيضاً أن أبا بكر مارس تأليف الرقاع واستنسخ عنها مصحف كاملا ً بعدما إستحرّ القتل بقرّاء القرآن يوم اليمامة عند قتال مسيلمة الكذاب ، حيث قال عمر لأبي بكر (إن حملة القراء قد قتل أكثرهم يوم اليمامة ، فلو جمعت القرآن ؟ فإني أخاف عليه أن يذهب حملته ، فقال أبو بكر : أفعل مالم يفعله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يزل به عمر حتى جمعه وكتبه في صحف) - تأريخ اليعقوبي ص١٢٥ - .

الدور الرابع : توحيد قراءة المصحف ، حيث يذكر أن حذيفة بن اليمان (ت ٣٦ هج) بعد عودته من فتح بلاد أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق دعا عثمان بن عفان قائلا له (أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى) - ابن كثير ، فضائل القرآن ص ١٠ - ، فقام عثمان بجمع المسلمين على قراءة واحدة أثبتتها لجنة من ز

يد بن ثابت وجماعة آخرين ، ومنع سائر القراءات التي كان المسلمون يقرأون القرآن بها لاختلاف ألسنتهم وأتلف مصاحفها .

ولقد استنسخ عثمان المصحف الذي توحدت قراءته بخمس نسخ أو أربع أو تسع أو ثمان أو سبع ، وبعثها إلى الكوفة و البصرة والشام وترك واحدة عنده ، وقيل أرسل إلى البحرين واليمن ومصر .. ، ومن أجل ضمان توحيد القراءات بين المسلمين على الوجه المختار ، أرسل عثمان مع كل نسخة إقليم حافظ يوافق قراءته ، فكان زيد بن ثابت مقرئ المصحف المدني ، وعبد الله بن السائب مقرئ المصحف المكي ، والمغيرة بن شهاب مقرئ المصحف الشامي، وأبو عبد الرحمن السلمي مقرئ المصحف الكوفي ، وعامر بن عبد الرحمن مقرئ المصحف البصري .

وأما رأي الإمام علي (عليه السلام) فيما عمله عثمان هو ما نقله الشهرستاني في مقدمة تفسيره برواية سويد بن علقمة قال : سمعت علي بن أبي طالب (عليه السلا م) يقول : أيها الناس إياكم والغلو ّ في أمر عثمان وقولكم حرّاق القرآن ، فو الله ما حرقها الا من ملأ من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) جمعنا وقال : ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها : يلقى الرجل الرجل فيقول قراءتي خير من قراءتك وهذا يجر الى الكفر ، فقلنا بالرأي .. - الزنجاني ، تاريخ القرآن ص ٦٨ - .

صيانة القرآن من التحريف

التحريف في اللغة له عدة معان ومنها :

- الإمالة والعدول بالشيء من موضعه الى حرفه (أي جانبه وطرفه) ، قال تعالى (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ ..) الحج ١١ ، قال الزمخشري : أي على طرفٍ من الدين لا في وسطه وقلبه - الكشاف ج٣ص١٤٦ - .

- تحريف الكلام هو تفسيره على غير وجهه من غير دليل ، قال تعالى (يُحرّفون الكلِمَ عن مَواضِعِهِ) ، قال الطبرسي : أي يفسّرونه على غير ما أنزل - مجمع البيان ج٣ص٥٥ - . قال الراغب : و تحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين .

التحريف اصطلاحا (تحريف القرآن) : أعطي له عدّة معان وأشكال منها :

الأول : تفسيره على غير وجهه بما لا دلالة عليه .

الثاني : تغيير في ترتيب الآيات داخل السور أو في ترتيب

السور داخل القرآن .

الثالث : قراءة القرآن على غير وجهه الصحيح (القراءات المتعددة) .

الرابع : تبديل الكلمة إلى غيرها ، مرادفة لها أو غير مرادفة .

الخامس : الزيادة بالنصّ لغرض الإيضاح ورفع الإبهام لا بقصد القرآنية .

السادس : الزيادة بالنصّ ، بمعنى أن بعض المصحف الذي بأيدينا ليس من الكلام المنزل .

السابع : النقص بالنص ، وهذا أمّا على شكل القراءة بالنقص رغم وجود النص ، أو الزعم أن في النصّ الحاضر نقصاً وسقطاً .

وأشكال التحريف أعلاه منه ما أجمع المسلمون على وقوعه كالأول مثلا ً ، ومنه ما أجمع المسلمون على عدم وقوعه كالسادس ، وبعض الأشكال وقع فيها الخلاف بين النفي والإثبات كما في الشكل السابع من التحريف .

أدلة عدم وقوع التحريف في القرآن : ذُكرت عدّة أدلة تلزم امتناع وقوع التحريف في القرآن الكريم ، نذكرها بإختصار :

١- العناية الكبيرة التي أولاها المسلمون للقرآن الكريم منذ

نزوله .

٢- تواتر القرآن الكريم .

٣- استدامة تحدّي القرآن بكونه معجز يثبت نفي التحريف .

٤- آية الحفظ (إنّا نحنُ نزّلنا الذّكرَ وإنّا له لحافظُون) .

٥- آية نفي الباطل (وإنه لكتابٌ عزيز ، لا يأتيه الباطلُ من بين يديهِ ولا من خلفهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ) .

٦- ما ورد من ضرورة عرض السنّة على القرآن الكريم والأ خذ منها ما وافق القرآن ، فكونه مقياساً للقبول يدل على عدم تحريفه .

٧- نصوص أهل بيت العصمة عليهم السلام التي تنصّ على صيانة القرآن من التحريف .

صيانة القرآن من التحريف : قال في تحريف القرآن وعدم تحريفه كل من أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلا م) وأتباع مدرسة الصحابة :

أما فيما يخص الموالين لمدرسة اهل البيت (عليهم السلام) ، فإن كبار علماءهم قالوا بعدم التحريف ، واستدلوا على ذلك ، ويوجد من قال بالتحريف بينهم .. أمّا من قال بعدم التحريف فنذكر منهم :

- الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) وهو شيخ المحدّثين وصاحب أحد الكتب الأربعة التي يستند عليها فقهاء المذهب في

استنباط أحكام الشريعة ، قال في رسالته التي وضعها لبيان معتقدات الامامية : اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه (صلى الله عليه واله) هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ، وعدد سوره على المعروف (١١٤ سورة ، وعندنا تعدّ (والضحى) و (ألم نشرح) سورة واحدة وكذا (الإيلاف) و (ألم تر كيف) ، ومن نسب إلينا أنّا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب . (اعتقادات الا مامية المطبوع مع شرح الباب الحادي عشر ص٩٣) .

٢ - الشيخ المفيد (ت 413) وهو عميد الطائفة ، قال في أجوبة المسائل السروية : فإن قال قائل : كيف يصح القول بأن الذي بين الدفتين هو كلام الله تعالى على الحقيقة من غير زيادة ولا نقصان وأنتم تروون عن الأئمة (عليهم السلا م) أنهم قرأوا (كنتم خير أمة أخرجت للناس) (وكذلك جعلناكم أئمة وسطا) وقرأوا (يسألونك الانفال) وهذا بخلا ف ما في المصحف الذي في أيدي الناس ؟ قيل له : قد مضى الجواب عن هذا وهو أن الاخبار التي جاءت بذلك أخبار آحاد لا يقطع على الله تعالى بصحتها ، فلذلك وقفنا فيها ولم نعدل عما في المصحف الظاهر . البحار ج٨٩ ص ٧٥ .

٣- الشريف المرتضى علم الهدى (ت 436) ، قال في رسالته الجوابية الأولى عن المسائل الطرابلسيات .. فكيف يجوز أن يكون مغيّراً ومنقوصاً (يعني القرآن) مع العناية الصادقة والضبط الشديد ! .. أن من خالف ذلك من الإمامية و الحشوية لا يعتدّ بخلافهم ، فإن الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنّوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحّته .

(مجمع البيان ص١٥) .

٤- الشيخ الطوسي (ت 460) ، شيخ الطائفة ، وصاحب كتابين من الكتب الأربعة التي عليها مدار فقهاء الشيعة ، ق ال في مقدمة تفسيره (التبيان) : وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه.فمما لا يليق بهذا الكتاب المقصود منه العلم بمعاني القرآن ... غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع إلى موضع طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملا .

٥- الطبرسي (ت ٥٤٨) ، قال في مقدمة تفسيره : والكلام في زيادة القرآن ونقصانه مما لا يليق بالتفسير ، أما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه ، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييراً و نقصانا ، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه (مجمع البيان ص١٥) .

٦- العلّامة الحلي (ت ٧٢٩) في أجوبة المسائل المهناوية عندما سئل عن التحريف في القرآن قال : الحق أنه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه وأنه لم يزد ولم ينقص ، ونعوذ ب اللّه تعالى من أن يعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك .

٧- الفيض الكاشاني (ت ١٠٩٠) صاحب تفسير الصافي قال : فما دلّ على وقوع التحريف مخالف لكتاب اللّه وتكذيب له فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله .(تفسير الصافي ج١ المقدمة السادسة) .

٨- وختاماً فإن للسيد الخوئي (قدس سره) بحثاً مفصلاً ً في تفسيره البيان يثبت فيه صيانة القرآن من التحريف

فليراجع .

وأما من قال بالتحريف من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، وهم بعض الإخباريين من المتأخرين منهم خاصة بسبب التسامح في قبول الحديث...! ، ومنهم :

١- السيد نعمة اللّه الجزائري (١٠٥٠ - ١١١٢)، ذكر في كتابه (الأنوار النعمانية) رأيه في تحريف القرآن ، فكان يرى أن القرآن كان مشتملا ً على مدائح ال الرسول والائمة الطاهرين وفضائح المنافقين وبيان مساوئهم بالتصريح وقد أُسقطت منه بعد وفاة النبي (صلى اللّه عليه و آله وسلم) .

٢- المحدّث النوري في كتابه (فصل الخطاب) الذي فرغ من تأليفه في ١٣٩٢ للهجرة ، فمما قال فيه : إن ابن عفّان لمّا جمع القرآن ثانياً أسقط بعض الكلمات والآيات من القرآن وما فعل ذلك إلّا ليمحو ما يخاف منه على سلطانه ، وقد غفل الشيخان عن إسقاطه فقام هو بهذا الأمر ..

ولقد كتب أصحابنا ردّاً عليه وأثيرت حوله ضجّة ، ولقد صدر منه بعدها ما يشبه التغير بالرأي وبيّن أنه لم يرد بـ التحريف بعد جمع عثمان للمصاحف وتوحيده لها ، وإنما فقد سقط منه عند الجمع الأول ما ذهب ببعضه وذلك في غير الأحكام .

وأما أتباع مدرسة الصحابة فلقد قال بالتحريف ما عُرف

منهم ب (الحشوية) ، وقد نقلوا أحاديث في ذلك وسجلّها ودوّنها بعد ذلك أصحاب الصحاح ، فمما جاء من روايات التحريف نذكر اثنين ونترك البقية إلى كتاب التمهيد في علوم القرآن للعلامة معرفة :

١- البخاري ومسلم بإسنادهما عن ابن عباس قال : خطب عمر خطبته بعد مرجعه من آخر حجّة حجّها قال فيها :

إن الله بعث محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، فلذا رجم رسول الله ص وآله ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس الزمان أن يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله ، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف . (البخاري ج٨ باب رجم الحبلى ، ومسلم ج٥ ص ١١٦) . أمّا آية الرجم التي جاء بها عمر ولم تقبل منه في عهد أبي بكر (الشيخ والشيخة - إذا زنيا - فارجموهما البتة) .

٢- وأخرج البخاري أيضاً زعم عمر بآية أخرى سقطت من القرآن الكريم قال : إنا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله (إن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو ان كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم) البخاري ج٨ ص٢٠٨ .

قراءات القرآن الكريم

على الرغم من توحيد المصحف من قبل عثمان بن عفان ،

وتم التخلّص من الإختلافات بين المسلمين في نصوصه ، إلا أنّه ولأسباب كثيرة عادت هذه الاختلافات بين المسلمين حتى وصل القرآن الذي بين ايدينا وله عدّة قراءات وأشهرها عشرة وأكثرها شهرة هي القراءات السبع ، و القراءة هي : وجهاً من محتملات النص القرآني - راجع التمهيد للعلامة معرفة ج ٢ ص٩ - .

وتختلف هذه القراءات فيما بينها ببعض الاختلافات ، ومنها ما يكون مغيّراً للمعنى ومنها ليس كذلك ، وهي كثيرة : كالإختلاف في الحركات الاعرابية والبنائية ، والتقديم والتأخير ، والزيادة والنقصان ، والتخفيف و التشديد ، والترقيق والتفخيم.. الخ .

فالاختلاف في إعراب الكلمة مثل : (ربنا باعِدْ بين أسفارنا) - فعل طلب - وقرأ يعقوب (ربنا باعَدَ بين أسفارنا) - فعل ماض - وفي حركات البناء مثل : (إذ تلقّونه بألسنتكم) - بتشديد القاف - و (تلقونه) بالتخفيف. وفي صورة الكلمة : (طلح منضود) و (طلع منضود) .

وفي الزيادة والنقيصة : (فإن الله هو الغني الحميد) و (فإن الله الغني الحميد) ، وفي التقديم والتأخير : (وجاءت سكرة الموت بالحق) و (وجاءت سكرة الحق بالموت) .. وهكذا .

أما أسباب هذه الاختلافات فهي كثيرة ومنها :

● بداءة الخطّ ، حيث كان الخط عند العرب في مراحله البدائية ولم تستحكم أصوله وفنونه ولم يتقن رسمه ، وكثيراً ما كانت الكلمة تكتب على خلاف ما تلفظ ، وقد تكتب الأخيرة على شكل واو ، والراء قد لا تختلف عن الواو .. الخ . وكذلك خلوّ الخط من النقط ، فلم تفرق السين عن الشين ، علاوةً على عدم وجود الحركات وباقي العلامات .

● إسقاط الألف : حيث كان الخطّ الكوفي العربي يسقط ا لألف الممدودة في ثنايا الكلم ، مثل حرام تكتب حرم ، ومهاداً تكتب مهدا .

● تأثير اللّهجة : حيث كانت القبائل تختلف في لهجاتها ، مثل نستعين بفتح النون الأولى في لغة قيس وأسد وغيرهم يقولونها بكسر النون .

● اختلاف راجع الى رأي واجتهاد القرّاء .

● وتخليط التفسير بالنص : نحو قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة - فاختلفوا - فبعث الله النبيين) .

... إلى غيرها من الأسباب .

القراءات السبع : بعد أن تكثّرت القراءات للقرآن الكريم وكل جماعة ومنطقة تهتم بقراءة معينة دون غيرها ، واستمرّ الحال حتى مطلع القرن الرابع الهجري ، حتى قام شيخ القرّاء الرسمي من قبل الدولة في بغداد أبو بكر (ابن مجاهد) بجمع سبع قراءات السبعة من أئمة الحرمين و

العراقيين والشام ، ولقد أنتقد ابن مجاهد في اختياره هذه القراءات السبعة (والتي سنذكرها قريباً) دون غيرها ، فبعضهم ذهب إلى أن قلّة علمه وأسفاره في سبيل العلم جعلته لا يعرف غيرها ، وبعضهم أنتقده كون هنالك قرّاء أعظم شأنا من بعض الذي اختارهم ولم يذكرهم ، وبعضهم نقده بسبب حصر العدد بسبعة مما أوهم البعض أن هذه القراءات هي التي قصدها الرسول الأكرم في الرواية الواردة عنه (أقرأني جبرئيل على حرف فراجعته فلم أزل استزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف) .

ولقد اعتمد (ابن مجاهد) على بعض الضوابط في اختيار القراءة مثل شهرتها وموافقتها لرسم المصحف العثماني . وأمّا القرّاء السبعة الذين اختارهم فتذكرهم مع ذكر راويين عنهم :

(١) عبدالله (ابن عامر) اليحصبي ، قارئ الشام (ت ١١٨) ، وروى عنه : هشام بن عمار وابن ذكوان .

(٢) عبدالله (ابن كثير) الداري ، قارئ مكة (ت ١٢٠) ، روى عنه : البزي وقنبل .

(٣) عاصم الأسدي ، قارىء الكوفة (ت ١٢٨) . روى عنه : حفص و شعبة .

(4) أبو عمرو بن العلاء المازني واسمه (زبّان) ، قارئ البصرة (ت ١٥٤) . روى عنه : الدوري حفص بن عمر و السوسي صالح بن زياد .

(5) حمزة بن حبيب الزيّات ، قارئ الكوفة (ت ١٥٦) . روى عنه : خلف و خلاد .

(6) نافع الليثي ، قارئ المدينة (ت ١٦٩) ، روى عنه : قالون و (ورش) .

(7) علي بن حمزة الكسائي ، قارئ الكوفة (ت ١٨٩) ، روى عنه : الليث بن خالد البغدادي والدوري حفص بن عمر راوي أبي عمر .

ولقد زاد المتاخرون ثلاثة هم :

(8) خلف بن هشام راوي حمزة ، قارىء بغداد (ت ٢٢٩) ، روى عنه ابو يعقوب وأبو حسن ادريس بن عبد الكريم .

(9) يعقوب الحضرمي ، قارىء البصرة (ت ٢٠٥) ، روى عنه رويس و روح .

(10) ابو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي ، قارىء المدينة (ت ١٣٠) ، روى عنه ابن وردان و ابن جمّاز .

وعدّت القراءات غير هذه العشرة او السبعة روايات شاذّة .

حجية القراءات

بعد أن اطلعنا إجمالا ً على طريقة وزمن اختيار القراءات للنص القرآني المتداولة اليوم ، ينبغي الآن معرفة حجيّتها ، ونقصد بالحجية هو شرعية العمل بها كقرآن مجيد وما يترتب على هذا العمل من أعمال عبادية ، كأخذ الأحكام الشرعية وقراءته في الصلاة .. الخ .

ويمكن القول أن هنالك إجماعاً من الفريقين على حجيتها وجواز العمل بها ، ولكن الاختلاف هو بطريق الاستدلال على هذه الحجية ، ومن هذه الاستدلالات نذكر :

القول بأن حجيتها كونها متواترة : وذهب الى هذا القول جمع من علماء أهل السنّة ومنهم السبكي الذي قال بتواتر القراءات العشر ، وأفرط البعض بالقول بقوله من قال بعدم تواتر القراءات السبع فقد كفر ، ومنهم مفتي البلاد الأندلسية أبي سعيد فرج ابن لب .

والمعروف عند الشيعة أنها غير متواترة ، وذهب الى هذا الرأي جماعة من المحققين من علماء أهل السنة . واستدل السيد الخوئي (قدس سره) في (البيان) على عدم التواتر بأمور :

الأمر الأول : أن استقراء حال الرواة يورث القطع بأن القراءات نقلت إلينا بأخبار الآحاد ... .

الأمر الثاني : أن التأمّل في الطرق التي أخذ عنها القرّاء يدلنا دلالة قطعية على أن هذه القراءات انما نقلت اليهم بطرق الآحاد .

الأمر الثالث : اتصال أسانيد القراءات بالقرّاء أنفسهم يقطع تواتر الأسانيد (لأن التواتر ينقطع اذا كان ينقله الواحد احد ى طبقاته - توضيح منا) حتى لو كانت رواتها في جميع الطبقات ممن يمتنع تواطؤهم على الكذب فإن كل قارئ انما ينقل قراءته بنفسه .

الأمر الرابع : احتجاج كل قارئ من هؤلاء على صحة قراءته واحتجاج تابعيه على ذلك ايضاً وإعراضه عن قراءة غيره دليل قطعي على أن القراءات تستند إلى اجتهاد القرّاء وآرائهم لأنها لو كانت متواترة عن النبي (صلى الله عليه و اله وسلم) لم يحتجّ في اثبات صحتها الى الاستدلال والا حتجاج .

الأمر الخامس : أن في انكار جملة من أعلام المحققين على جملة من القراءات دلالة واضحة على عدم تواترها .

القول بأنها آحاد ويوجد دليل قطعي بجواز العمل الآحاد : وأجاب السيد الخوئي (قدس سره) في البيان على هكذا رأي محتمل :

أولا ً : أن القراءات لم يتضح كونها رواية لتشملها هذه الأ دلة ، فلعلها اجتهادات من القرّاء .

ثانياً : ان رواة كل قراءة من هذه القراءات لم يثبت وثاقتهم أجمع ، فلا تشمل أدلة حجية خبر الثقة روايتهم .

ثالثاً : أنا لو سلمنا أن القراءات كلها تستند إلى الرواية ، وأن جميع رواتها ثقات ، الا أنا نعلم علماً اجمالياً أن بعض هذه القراءات لم تصدر عن النبي (صلى اللّه عليه واله وسلم) قطعاً ، ومن الواضح أن هذا العلم يوجب التعارض بين تلك الروايات وتكون كل واحدة منها مكذبة للأخرى فتسقط جميعها عن الحجية ، فإن تخصيص بعضها بالاعتبار ترجيح بلا مرجّح ، فلا بد من الرجوع إلى مرجحات باب المعارضة وبدونه لا يجوز الاحتجاج على الحكم الشرعي بواحدة من تلك القراءات .

القول بجواز العمل بها كونها بإمضاء المعصومين (عليهم السلام) : وهذا ما أثبته السيد الخوئي (قدس سره) في (البيان) :

... فقد كانت هذه القراءات معروفة في زمانهم ولم يرد عنهم أنهم ردعوا عن بعضها ، ولو ثبت الردع لوصل الينا بـ التواتر ، ولا أقل من نقله بالآحاد ، بل ورد عنهم (عليهم السـ لام) إمضاء هذه القراءات بقولهم (إقرأ كما يقرأ الناس) و (إقرؤوا كما عُلّمتم) ، وعلى هذا فلا معنى لتخصيص الجواز بالقراءات السبع أو العشر ، نعم ، يعتبر في الجواز أن لا تكون القراءة شاذة غير ثابتة بنقل الثقات عند علماء أهل السنة ولا موضوعة... وصفوة القول : أنه تجوز القراءة في الصلاة بكل قراءة كانت متعارفة في زمان أهل البيت (عليهم السلام) .

عدم تواتر القراءات لا يعني عدم تواتر القرآن

أورد البعض شبهة مفادها : أن القائل بعدم تواتر القراءات يستلزم ذلك القول بعدم تواتر القرآن ، وقال هذا القاضي أبو سعيد فرج بن لب الاندلسي (من زعم أن القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر ، فقوله كفر لأنه يؤدي الى عدم تواتر القرآن) . ولقد ردّ هذا القول العلماء والمحققون ، ومن هذه الردود :

1- ما قاله الزركشي - البرهان ج ١ ص ٣١٨ - : القرآن و

القراءات حقيقتان متغائرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد (صلى اللّٰه عليه وآله وسلم) والقراءات هي اختلاف الفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها .

٢- ولقد رد السيد الخوئي (قدس سره) هذا القول بقوله - البيان ص ١٥٦ - :

أولا : أن تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات ، لأن الاختلا ف في كيفية الكلمة لا ينافي الاتفاق على أصلها ..

ثانياً : أن الواصل الينا بتوسط القرّاء إنما هو خصوصيات قراءاتهم ، وأما أصل القرآن فهو واصل إلينا بالتواتر بين المسلمين وبنقل الخلف عن السلف.. .

قراءة عاصم برواية حفص : لقد تميّزت هذه القراءة عند المسلمين من بين القراءات الاخرى منذ العهد الأول حتى عصرنا الحاضر ، ولقد صرّح بذلك جملة من الأعلام ، فقال أحمد ابن حنبل (كان أهل الكوفة يختارون قراءة عاصم وأنا أختارها) - التمهيد للعلامة معرفة ج ٢ ص ٢٢٠ - ، وقال عنها الخوانساري (وظلت قراءته - اي عاصم - هي الدارجة بين المسلمين ، وكانت تكتب بالسواد وباقي القراءات تكتب بألوان أخر للتميز) - التمهيد للعلامة معرفة - ج ٥ ص ٤ - . ولتمييزها هنا أسباب ذكروها منها :

١- هذه القراءة أخذها عاصم عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمي عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ثم اقرءها عاصم لتلميذه حفص .

٢- كان عاصم ضابط متقناً للغاية ، شديد الحذر والاحتياط فيمن يأخذ عنه القرآن متثبتاً .

٣- يرجع اهتمام الشيعة لهذه الرواية بالاضافة الى ما ذكرناه كون قراءة حفص عن عاصم قراءة شيعية خالصة رواها حفص وهو من اصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) عن شيخه عاصم وهو من أعيان شيعة الكوفة الأعلام عن شيخه السلمي وكان من خواص علي (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه واله وسلم) عن اللّٰه عز وجل - التمهيد ج٢ص٢٢٨- .

الضبط المُصحفي

كُتب المصحف الشريف وجُمع وألفاظه خالية من

أمرين هما :

أولا ً : الحركات الإعرابية ، الفتحة والضمّة والكسرة و التكوين والسكون .

ثانيا: النقط .

ولذلك كانت الكلمات تحتمل عدّة وجوه من القراءات ، غير أن ما يهوّن الأمر أنها كانت كتابة المسلمين الدارجة وكونهم هم أهل اللغة والمتمكنين منها معتمدين بذلك على سياق الكلام وما يقتضيه المقام ، وعندما كثر اختلاط العرب بالأعاجم نتيجةً للفتوحات الإسلامية .. انتشر اللحن في الكلام (أي النطق به على غير وجه إعرابه أو تصحيـ فه) ، فاجتهد العلماء في وسائل تحفظ وتصون قراءة القرآن الكريم من الخطأ ، فاستحدثوا الشكل (الحركات الإ عرابية) والإعجام (التنقيط) .

مراحل الضبط المصحفي : مرّ الضبط المصحفي بمراحل ، أولاها كانت نشأة الحركات الإعرابية على يد أبي الأسود الدؤلي والذي أجاب عندما سُئل عمّن تلقيت ذلك .. ؟ فأجاب : تلقيته من علي بن أبي طالب - راجع الإتقان للسيوطي ج٢ص٢١٨ - .

وقال السيوطي (كان الشكل في الصدر الأول نقطاً ، فـ الفتحة نقطة على أول الحرف ، والضمّة على آخره والكسرة تحت أوله) ، بالإضافة الى حركة الغنة (التنوين) وهي

النقطتان فوق بعضهما - الضبط المصحفي للدكتور عبد التواب مرسي ص ٧٤ - . وأمّا الشدة فقد ابتكرها أهل المدينة والسكون ابتكرها أتباع أبي الأسود غير أنهما مرتا بأشكال مختلفة غير الشكلين المعروفين الآن نترك التفصيل للكتب المتخصصة في ذلك .

ثمّ تلتها مرحلة الإعجام (التنقيط) وسميّ بالإعجام من العَجْم (أي النقط بالسواد) ، فالإعجام معناه : (نقط الحروف المشتبهة في الصورة للتفريق بينها حتى لا يحدث لبس في النطق فيؤدي إلى اختلاف في المعنى ، فالدال مهملة ، أي ليس فيها إعجام ، ولكي نفرق بينها وبين الذال المعجمة ، تعجم الثانية بنقطة فوقها فتميزها) - المصدر السابق - .

وأشتهر أن نقط الإعجام قام بها كل من نصر بن عاصم (ت ٨٩ هج) ويحيى بن يعمر (ت ٩٢ هج) وهما من تلا مذة أبي الأسود بأمر من الحجاج بن يوسف في أيّام عبد الملك بن مروان حيث طلب منهما أن يضعا علامات لتمييز الحروف المشتبهة فوضعا الإعجام للحروف .. اتفقا على جمع الحروف المتشابهة بعضها بجانب بعض وتركا الترتيب القديم (أبجد هوز حطي ..) وأتبعا ترتيباً آخر وهو ترتيب: أ ب ت ث ج ح خ.. الخ - انظر نشأة النحو للشيخ الطنطاوي ص ٥٦ - . ويذكر أنه كان يُميّز في أول الأمر بين نقط الإعراب ونقط الإعجام باللون حيث تكون نقط الإ عراب بالأحمر والإعجام بالأسود . وكذلك يذكر بأنه بعد ذلك

أصدر الحجّاج أوامر لكتّاب الإمارة باتباع طريقة الإعجام الجديدة وأبلغ عبد الملك بذلك فاستحسنها وحمل الناس عليها فعمّ الكتابة بعد ذلك ولم تختص بالمصحف الشريف .

ثمّ بعد ذلك وبسبب أن حركات أبي الأسود كانت تختص بآخر الكلمة فقط ، ولمشقة التلوين المختلف ، جاء الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هج) . واستطاع أن يأخذ من صور الحروف حركات ، فالضمّة واو صغيرة فوق الحرف و الكسرة ياء تحت الحرف والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف ، وابتكر أيضا الشدة المعروفة الآن وأخذها من أول (شديد) وإن كان الحرف خفيفة جعل عليه (خ) من أول (خفيف) ، ووضع للسكون دائرة (٥) وللهمزة برأس عين (ء) لقرب الهمزة والعين في المخرج ، وجعل لألف الوصل (ص) فوقها ... ثم تطورت بعض الحركات التي وضعها الخليل وإن كان بعضها مستخدماً في القرآن كما وضعها الخليل كالضمة والتنوين والشدة وغيرها . فالياء الصغيرة التي وضعها الخليل تعبيراً عن الكسرة أصبحت بعد ذلك تشبه الفتحة تحت الحرف .

هذه نظرة خاطفة وموجزة عن معنى ومراحل تطور الضبط المصحفي ونترك التفاصيل لبحوثها المختصة ، خاصةً عندما شهد الضبط المصحفي مراحلا ً متقدمة تشمل أحكام التلاوة وبإخراج فنّي رشيق ..

الرسم العثماني

رسم ألفاظ القرآن الكريم الذي بين أيدينا يسمّى بالرسم العثماني المُطابق لرسم القرآن الذي جمعه ونسخه عثمان بن عفان ، ولهذا الرسم بعض الخصوصيات كونه غير مطابق لبعض الأصول المتعارفة للخط العربي ، ولحرص المسلمين على حفظ هذا الرسم من جانب ، ولتميّز هذا الرسم ببعض الخصوصيات التي تغيّر من معاني الألفاظ عند الجاهل بها من جانب آخر ، عكف المهتمون بالقرآن الكريم على دراسة هذا الخط ووضع بعض الضوابط والقواعد التي توضّح خصوصيات ومزايا هذا الرسم حتى سمّيَ بعلم الرسم العثماني والذي يعرّف : (علمٌ تُعرف به مخالفة المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي) - معجم علوم القرآن ص ١٥٩ ، ابراهيم محمد الجرمي - .

وقواعد (خصوصيات) الرسم العثماني خمس : (الحذف - الزيادة - البدل - الهمز - الوصل والفصل - ما فيه قراءتان) ، وأمّا تفصيلها :

أولا ً : الحذف ، حيث حُذفت بعض حروف الهجاء من بعض كلمات المصحف ، وهذه الحروف هي (الألف والواو و الياء واللام والنون) ، وهذا الحذف بعضه يخضع لقاعدة و

البعض الآخر ما لا يدخل تحت قاعدة عامّة :

- حذف الألف : فما دخل تحت قاعدة عامة منه :

+ حذف ألف جمع المذكر السالم وما ألحق به إذا لم يكن مهموزاً أو منقوصاً أو محذوف النون أو بعد ألفهِ تشديد مباشر نحو (العلمين - المجهدين) .

+ حذف ألف جمع المؤنث السالم إذا كان ذا ألف واحدة نحو (مسلمت - مؤمنت - وكلمته) .

+ حذف ألفي جمع المؤنث السالم إذا كان ذا ألفين إذا لم يكن بعد ألفه الأولى همز ولا تشديد (حسب أكثر المصاحف) نحو (قنتت - علمت) .

+ حذف ألف ضمير الرفع المتصل (نا) إذا كانت واقعة فاء لا ً واتصل بها ضمير نحو (زدنهم - علمنه - آتينك) .

+ حذفت ألف التثنية في (يأتينها) بالنساء و (هذن ساحران) و (فذانك) بالقصص وحذفت ألف (الأولين) بـ المائدة .

+ حذفت ألف الأسماء الأعجمية (إبرهيم - إسمعيل - إسحق - عمرن - هرون - لقمن - سليمن) .

وما لم يدخل تحت قاعدة عامّة : حذف ألف (قرءنا) في أول يوسف والزخرف و (أثبهم) في المائدة والفتح و (سلطن) حيث ورد ، و (شيطن) كيف جاء و (الميعد)

في الانفال و (تفوت) في الملك و (كذبة) في العلق و (اللّه) و (اللّهم) و (إله) حيث ورد و (لكن) كيف جاءت و (ملك) في الفاتحة وآل عمران و (الرحمن) كيف جاءت و (منفع) و (أبوب) كيف جاءت و (القيمة) كيف جاءت .

- حذف الياء :

+ حذفت الياء الأصلية من إحدى وعشرين كلمة ومنها : (الداعِ) في البقرة 186 والقمر 6. (يؤتِ اللّه) في النساء 14. (المتعال) في الرعد 9 . (المهتدِ) في الاسراء ، و الكهف 17 . (كالجواب) في سبأ ١٣. (يسر) في الفجر 4 .

+ حذفت الياء الزائدة من تسعة وتسعين كلمة منها : (فارهبونِ) في البقرة 41 ، والنحل 51 ، (ونذرِ) في القمر 18 ، (يعبادِ) في الزمر 10 .

+ رسمت كل كلمة وقع في آخرها ياءان ثانيهما ساكنة بياء واحدة نحو (يستحي - يحي) .

+ حذفت الياء من (ابرهم) في كل مواضع البقرة خاصّة .

- حذف الواو

+ حذفت الواو من (ويدعُ الإنسان) في الاسراء 11 و (يدع الداع) في القمر 6 و (سندع) في العلق 18 و (ويمحُ اللّه) في الشورى ٢٤ .

+ رسمت كل كلمة اجتمع فيها واوان ثانيهما بعد ضم

واتصلتا بواو واحدة نحو (ورى - يستون - الموءدة - داود - الغاون) .

- حذف اللام : رسمت هذه الكلمات بلام واحدة : (الّيل) حيث جاءت و (الذي) حيث جاءت .

- حذف النون : رسمت هذه الكلمات بنون واحدة : (فنجي) في يوسف 110 و (نجي) في الانبياء 88 و (تأمنا) في يوسف 11 .

ثانياً : الزيادة : يزاد من حروف الهجاء في المصاحف ثلاثة أحرف هي (الألف والواو والياء) .

- زيادة الألف

+ تزاد الألف بعد الميم في (مائة) و(مائتين) حيث وقعت .

+ وتزاد الألف بعد النون في (لكنّا) و (أناْ) حيث وقعت و (الظنوناْ) .

+ تزاد الألف بعد الشين في (لشاىءٍ) في الكهف ٢٣ .

+ تزاد الألف بعد اللام في (الرسولا) و (السبيلا) في الأ

أحزاب 66 و 67 و(سلسلا) في الإنسان .

+ تزاد الألف في كلمة (ابن) كالبقرة 87 حيث جاءت .

+ تزاد الألف بعد واو الجمع المتطرفة المتصلة بالفعل أو بإسم الفاعل نحو (ءامنوا) و (فاسعوا) و (مرسلوا) وخرج عن ذلك ستة أفعال وهي (وباءو) (جاء و) حيث وقعا و (فاءو) في البقرة 226 و (عتو) في الفرقان 21 و (سعو) في سبأ 5 و (عتو) في الحشر 9 .

+ تزاد الألف بعد الواو المتطرفة في (وأولوا) حيث وقعت .

● زيادة الياء : زيدت الياء في : (تلقاء نفسي) يونس 15 ، (وإيتاىء) النحل 90، ومن (ءاناىء اليل) طه 130 ، (من وراىء) الشورى 51 ، (بأييكم) القلم 6 ، (بأييد) الذاريات 47 ، (أفإين) الأنبياء 34 و ال عمران 144 ، (نبإ ى) الأنعام 34 ، وفي كلمة ملأ إذا خفضت وأضيفت الى ضمير نحو (إلى فرعون وملإيه) الاعراف 103 ، ورسمت (الئى) الأحزاب 4 .

● زيادة الواو : زيدت الواو في (أولى) النساء 83 حيث وقعت ، أولت) الطلاق 6 ، (أولاء) ال عمران 119 كيف جاءت .

ثالثا: البدل ، أي جعل حرف مكان حرف وهو أقسام :

١. ترسم الألف ياء في أحوال أربعة : اذا كانت منقلبة عن ياء نحو (هدهم) البقرة 272 . وألف التأنيث نحو (كسالى) ، خرج عن ذلك (تترا) و (كلتا) . والألف المجهولة الأ صل وهي في (حي) و (الى) و (على) و (أتى) و (منى) و (بلى) و(لدا) . وألف (سجى) الضحى 2 (ما زكى) النور 21.(والضحى) الضحى 1 (تلها) الشمس 2 (طحها) الشمس 6 (العلى) طه 4 (القوى) النجم 5 .

٢. ابدال الألف واواً : في (الربوا) حيث وقع (بالغدوة) الأ نعام 52 ، والكهف28 ، (كمشكوة) النور 35 ، (النجوة) غافر 41 ، (الصلوة) حيث وقع ، (ومنوة) (الزكوة) حيث وقع ، (الحيوة) حيث وقع ، فإن أضيفت (الصلوة) و (الزكوة) و (الحيوة) إلى ضمير نحو (صلاتي) (حياتي) فأكثر المصاحف بالألف .

٣. رسم الهاء تاء : منها (رحمت) من (يرجون رحمت اللّه) البقرة 218 ، (إن رحمت اللّه) الأعراف 56 ..

٤. ترسم السين صاداً : في (صراط) (بصطة) (المصيطرون) (بمصيطر) .

٥. ترسم نون التوكيد الخفيفة ألفاً في : (وليكونا) يوسف 33 ، (لنسفعاً) العلق 15 ، (إذاً) حيث وقع .

رابعا : الهمز

+ همزة الوصل : ترسم ألفاً سواء دخلت عليها أداة نحو (ب الله) أم لا نحو (الله) . وتحذف صورتها في خمسة أحوال :

١. أن تقع بين الواو أو الفاء وهمزة هي فاء الكلمة نحو (وأتوا)

٢. أن تقع في فعل الأمر من السؤال بعد الواو أو الفاء نحو (وسئل) .

٣. أن تقع في لام التعريف وشبهها بعد لام الابتداء أو الجر نحو (وللدار) .

٤. أن تقع في فعل بعد همزة الاستفهام نحو (أطلع) .

٥. ان تقع في لفظ (اسم) المجرور بالياء اذا أضيف الى لفظ الجلالة نحو (بسم الله) .

+ همزة القطع : ترسم همزة القطع الفاً إذا وقعت أولا ً ، وترسم الهمزة الساكنة الفاً بعد الفتح نحو (أنشأتم) ، وترسم ياء بعد الكسر نحو (نبىء) ، وترسم واواً بعد الضم نحو (اللؤلؤ) ، وترسم الهمزة المتحركة المبدوء بها ألفاً مهما كانت حركتها نحو (أبصر) ، و كذا اذا اتصل بها حرف زائد نحو (سأصرف) ، وترسم الهمزة المتحركة الواقعة وسطاً ألفاً اذا كانت مفتوحة بعد فتح نحو (سألوا) ، وترسم واواً اذا كانت مفتوحة بعد ضم نحو (مؤجلا ً) ، وترسم ياء اذا كانت مكسورة بعد الحركات الثلاث نحو (سُئِلت) وكذا اذا كانت مفتوحة بعد كسر نحو (فئة) أو مضمومة بعد كسر نحو (سنقرئك) ، وتحذف همزة القطع

اذا كانت مفتوحة بعدها ألف نحو (مئاب) أو مضمومة وبعدها واواً نحو (بدءُوكم) أو مكسورة بعدها ياء نحو (بئيس) الأعراف 165 ، و تحذف ان سكن ما قبلها نحو (سوْءة) الا اذا كانت مكسورة بعد ألف فإنها ترسم ياء نحو (قائمة) أو مضمومة بعدها فإنها ترسم واواً نحو (هاؤم) ، وترسم الهمزة المتطرفة اذا تحرك ما قبلها بصورة الحرف الذي منه حركته نحو (بدأ) فإن سكن ما قبلها لم ترسم نحو (المرء) ، وهناك ما خرج عن قياس مثل (رءيا) و (تؤي) ..

خامساً : الفصل والوصل ، فقد رسمت بعض الكلمات متصلة مع أن حقها الفصل وبالعكس ، فمن أمثلة الوصل : وصل (عن) و (ما) نحو : (وما الله بغافل عما تعملون) البقرة 74 ، و (بئس) و (ما) نحو : (بئسما اشتروا به أنفسهم) البقرة 90 . و (أن) و (لا) وتصبح (.ألا) نحو (ألا تعبدوا إلا الله) ..

ومن أمثلة الفصل : جاءت (أين) و (ما) منفصلة في بعض المواقع نحو (أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا) البقرة 148.

سادساً : ما فيه قراءتان ، بعض الكلمات القرآنية قرئت على وجهين و كتبت برسم أحدها مثل (ملك يوم الدين - ووعدنا موسى - يخدعون الله - تفدوهم) فكلها مقروءة بثبوت الألف وحذفها ، وكذلك رسمت الكلمات التالية بالتاء المفتوحة وهي (غيبت الجب - أنزل عليه ءايت) وهي مقروءة بالجمع والإفراد .. وهكذا .

أحكام التلاوة

من مفاتيح تدبر القرآن وإدراك معانيه والتفاعل معه و التأثر فيه هو الالتزام بضوابط التلاوة القرآنية وأحكامها ، عن نبيّنا الأكرم صلوات اللّه عليه : إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، قيل : يا رسول اللّه فما جلاؤها ؟ قال : تلا وة القرآن - ميزان الحكمة حديث ١٦٤٩٨ - .

فالقراءة الصحيحة تفك للقارئ والمستمع طلاسم تصعب على القارئ بغير ضوابط واحكام التلاوة الكريمة . قال تعالى : (.ورتل القرآن ترتيلا) المزمل ٤ ، والترتيل : بمعنى قراءة القرآن على نحو إبانة الحروف والكلمات والتمهل فيها والتمكث والتأنق .. - التحقيق للعلامة مصطفوي مادة (رتل) - .

والتلاوة غير الصحيحة تغيّر من معنى الآية أو الكلمة ، و الصوت غير الحسن يحرم القارئ والسامع من بركات كثيرة يعرفها كل من تذوق تلاوته .. وعلى نحو الإشارة نذكر بعض تلك الأحكام :

١- الوقف والابتداء : فأورد السيوطي في الإتقان عن النكزاوي : باب الوقف عظيم القدر جليل الخطر لأنه لا يتأتى الأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه الا بمعرفة الفواصل . وقالوا بأن الوقف على ثلاثة

أنواع : وقف تام (الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ولا يكون بعده ما يتعلق به) ، والوقف الحسن (الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده) ، والوقف القبيح (الذي ليس بتام لا حسن ، كالوقف على بسم من قوله بسم الله ، ولا يتم الوقف على المضاف دون المضاف اليه ولا المنعوت دون نعته ولا الرافع دون مرفوعه وعكسه ولا الناصب دون منصوبه وعكسه ولا المؤكد دون توكيده و لا المعطوف دون المعطوف عليه ولا البدل دون مبدله ولا إن أو كان أو ظن وأخواتها دون اسمها ولا أسمها دون خبرها ولا المستثنى منه دون الاستثناء ولا الموصول دون صلته اسمية أو حرفية ولا الفعل دون مصدره ولا حرف دون متعلقه ولا شرط دون جزاءه) .

٢- الإدغام : (كل حرفين التقيا ، أولهما ساكن و كانا مثلين أو متجانسين وجب إدغام الأول منهما لغة وقراءة) ، فالمثلان نحو (اضرب بعصاك) تقرأ (اضربعصاك) و المتجانسين نحو (قالت طائفة) تُقرأ (قالطائفة) .

٣- أحكام النون الساكنة والتنوين (الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب) : فإظهار النون أو التنوين إذا جاء بعدها الحروف الستة (الهمزة والهاء والعين والحاء والغين و الخاء) . والإدغام إذا جاء بعدها (اللام والراء والنون و الميم والياء والواو) ، والإقلاب إذا جاء بعدها (الباء) حيث تقلب النون والتنوين عند الباء ميمة مثل (أنبئهم) تقرأ (أمبئهم) . والإخفاء عنده باقي الحروف وهو حالة بين الإدغام والإظهار .

٤- المد والقصر : والمدّ (زيادة - مط - في حرف المد على المد الطبيعي وهو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه) و

القصر (ترك تلك الزيادة وابقاء المد الطبيعي على حاله) .
وحرف المد : الألف مطلقة والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها .

هذه إشارة إلى بعض أحكام وضوابط التلاوة ونترك تفصيلاتها وباقي ضوابطها الى علومها وكتبها المختصة .

من آداب التلاوة

كما أن أحكام وضوابط التلاوة تعتبر من مفاتيح التدبر القرآني والاستفادة من نمير علومه وخصائصه ، كذلك لآداب التلاوة نفس الأهمية وتعود بنفس الفائدة ، وقد وردت نصوص شرعية تحثّ على كثير من تلك الآداب ومنها :

- حق التلاوة : عن الإمام الصادق (عليه السلام) في ذيل الآية المباركة (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) البقرة ١٢١، قال : يرتّلون آياته ويتفهمون معانيه ، ويعملون بأحكامه ، ويرجون وعده ويخشون عذابه ، ويتمثلون قصصه ويعتبرون أمثاله ويأتون أوامره ويجتنبون نواهيه . ثم يردّ عليه السلام على من توهم تلاوته بمجرد قراءته وحفظه إذ يقول : ما هو واللّه بحفظ آياته وسرد حروفه وتلاوة سوره ودرس أعشاره وأخماسه ، حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده وإنما تدبر آياته - اللباب ص١٣٦ - .
- قراءته بحزن والبكاء أو التباكي عند قراءته ، فورد عن

الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله وسلم) : اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا . وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) : إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا .

- والاستعاذة قبل القراءة ، قال تعالى : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل ٩٨ .

- وقراءة بعض الأدعية المخصوصة قبل وبعد القراءة .

- وأن يكون القارئ على طهر .

- وأن يختار مجلس حسن للقراءة ويختار الأوقات والأماكن المستحبة للقراءة ، عن الامام الباقر (عليه السلام) : من ختم القرآن بمكة من جمعة إلى جمعة أو أقل من ذلك أو أكثر وختمه في يوم الجمعة كتب له من الأجر و الحسنات من أول جمعة كانت في الدنيا إلى آخر جمعة تكون فيها وإن ختمه في سائر الأيام فكذلك - الكافي، باب ثواب قراءة القرآن - .

- وأن يقف ويتدبر عند الآيات المبشّرة أو المحذّرة .عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : تالين لأجزاء القرآن يرتلونها.ترتيلا ، يحزنون به أنفسهم ، ويستثيرون به دواء دائهم ، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً وظنوا أنها نصب أعينهم ، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم - نهج البلاغة خطبة ١٩٣ - .

- وأن تكون القراءة في المصحف وإن كان حافظا ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) : قراءة القرآن في المصحف تخفف العذاب عن الوالدين ولو كانا كافرين - الكافي باب

قراءة القرآن في المصحف - . وعنه عليه السلام : من قرأ القرآن في المصحف متّع ببصره وخُفف عن والديه وإن كانا كافرين - الكافي باب قراءة القرآن في المصحف - .

- وأن يستقبل القبلة عند القراءة .
- قراءته بصوت حسن ، عنه (صلى الله عليه و آله وسلم) : زيّنوا القرآن بأصواتكم .
- قراءته في الصلاة : عن الامام الباقر (عليه السلام) : من قرأ القرآن قائمة في صلاته كتب الله له بكل حرف مائة.حسنة ، ومن قرأه في صلاته جالسة كتب الله له بكل حرف خمسين حسنة ، ومن قرأه في غير صلاته كتب الله له بكل حرف عشر حسنات - باب ثواب قراءة القرآن -

المكي والمدني

لقد أستعمل اصطلاح السور المكية والسور المدنية ، أو القرآن المكي والقرآن المدني عند المسلمين والعلماء و المهتمين بالجانب القرآني على الوجه الأخص ، قال اليعقوبي (نزل من القرآن بمكة اثنتان وثمانون سورة على ما رواه محمد بن حفص بن أسد الكوفي عن محمد بن كثير ، ومحمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، ونزل بالمدينة اثنتان وثلاثون سورة) - تاريخ اليعقولي ج٢ ص٢٦ - .

والقرآن المكي : هو القرآن الذي نزل على الرسول الأكرم

صلوات اللّٰه عليه قبل الهجرة وإن كان نزوله خارج مكة المكرمة .

والقرآن المدني : هو القرآن الذي نزل على الرسول الا كرم صلوات اللّٰه عليه بعد الهجرة وإن كان خارج المدينة المنورة ، كالآية (إن اللّٰه يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فإنها مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح .

خصائص القرآن المدني والقرآن المكي : لقد ذكرت بعض الأمور التي يتميز بها كل من القرآن المكي والقرآن المدني غير أنها غير مطردة بشكل كامل ، بمعنى أن بعض القرآن المدني له الخصائص العامة للمكي وبالعكس ، ومن تلك الخصائص :

1- أغلب القسم المكي يدعو إلى أصول العقيدة كالإيمان ب اللّٰه واليوم الآخر ، بينما الغالب على القسم المدني.هو تفصيل الأحكام والحدود والفرائض والحقوق والأنصبة الإ رثية.. الخ .

٢- تميّز أغلب القسم المكي بمجادلة المشركين وإبطال عقائدهم ، بينما اهتم اغلب المدني بمجادلة أهل الكتاب و المنافقين .

٣- كثرة القسَم باللّٰه واليوم الآخر والبعث والقرآن في

القسم المكي ، بينما يفصل المدني بالأدلة والبراهين و الحقائق الدينية .

٤- يهتم القسم المكي بالتمسك بالخلق الرفيع وفعل الخير ، ويهتم المدني بالجهاد وبيان أحكامه .

٥ - قصر الآيات والسور في المكي بصورة عامة ، وطول السور في المدني .

٦- يكثر السجع في آيات السور المكية نسبة الى المدنية .

٧- يكثر ذكر (يا أيها الناس) في المكي ، و (يا أيها الذين آمنوا) في المدني . قلنا يكثر لأن هناك سور مكية جاء بها يا ايها الذين آمنوا كما في سورة الحج اية ٧٧ ، وسور مدنية جاء فيها يا ايها الناس كما في سورة النساء اية ١ .

٨- كثرة ذكر قصص الأنبياء والأمم في المكي بالنسبة للقسم المدني .

ولا بد من ملاحظة أن السور المكية قد تكون فيها آيات مدنية والعكس أيضاً لما وضحنا ذلك في موضوع جمع القرآن الكريم وتدوينه .

طرق تمييز القرآن المدني والمكي : يعتمد على عدّة طرق في تحديد النص القرآني المدني والمكي ، ومنها :

الأولى : الاعتماد على النصوص الواردة الذاكرة إن كانت الآ ية مدنية أو مكية .

الثاني : الاعتماد على تاريخ النزول الوارد أو سببه أو الحوادث التأريخية التي أحاطت بها ظروف الآية أو السورة

وسياقها العام .

الثالث : اعتماداً على الخصائص العامة لكل من القرآن المدني والمكي .

ويمكن أن تكون طريقة رابعة تلفيقية من الطرق أعلاه وا لاعتماد عليها معاً للترجيح وتقوية الاستدلال .

من فوائد معرفة المكي والمدني : ومن فوائد ذلك تمييز الناسخ والمنسوخ ، حيث المدني يكون ناسخاً للمكي في حـ الة ثبات واستقرار التعارض بينهما ، وكذلك يمكننا معرفة تأريخ التشريع وتدرجه وما يترتب على ذلك من فوائد و آثار ، وللعلم بمكية السورة ومدنيتها ثم ترتيب نزولها أهمية في الأبحاث الخاصة بالدعوة والسيرة النبوية وتحليلها تحليلا ً عقائدياً او سياسياً او تاريخياً .. الخ .

تفسير القرأن الكريم

تفسير القرآن الكريم : (وهو بيان معاني الآيات القرآنية

والكشف عن مقاصدها ومداليلها) - مقدمة تفسير القرآن - ، أو (هو إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز) - البيان للسيد الخوئي ص٣٩٧ - .

مدارك ومناهج التفسير : بمعنى المصادر والأصول التي يعتمد عليها المفسّر في إدراك معاني ومقاصد القرآن بحيث تكون حجّة له وعليه في تفسيره ولا يكون ممن يشمله الحديث " من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار" - تفسير الصافي ج١ص٣٥ عن رسولنا الأكرم - . ولقد تعددت هذه المدارك واختلف في حجية وصحة بعضها بين الأعلام ، وسنحاول ذكر بعضها :

١- القرآن يفسّر بعضه بعضا ، وهذا المدرك من المناهج المهمّة التي يتخذها المفسّرون في تفاسيرهم ، يقول السيد الخوئي قدس سره في مقدمة تفسر البيان .

أني كثيرا ما أستعين بالآية على فهم أختها ، وأسترشد القرآن الى ادراك معاني القرآن (انتهى كلامه قدس سره) . بل كان هذا المدرك هو الأساس لصاحب الميزان ، فيقول ناشر الطبعة الأولى المحققة في تصديره للكتاب : وقد أفاد الطباطبائي كثيرا من (تفسير القرآن بالقرآن) وكانت قاعدته الأساس في الميزان ، فكان يستعين بالآيات ضمن سياقها على بيان معاني الآيات ويردّ ما خالف هذه المعاني القرآنية من الروايات وأقوال المفسّرين .

٢- التفسير برواية المعصوم ، وهذا من أهمّ المدارك التي تعين على فهم القرآن الكريم و تفسير آياته ، ولقد أورد الفيض الكاشاني في المقدمة الخامسة من تفسيره ما نصّه : وعنه (أي النبي صلوات الله عليه) وعن الأئمة القائمين مقامه (عليهم السلام) أن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح والنصّ الصريح . ولقد اعتمده (قدس سره) كمنهج لتفسيره (الصافي) ، ومما يؤخذ أيضا على هذا المدرك هو أن النصوص الواردة لا تغطي جميع آيات القرآن الكريم وبعضها ايضاً يخضع لميزان قبول ورفض الرواية وهكذا ..

وأما الاعتماد على رواية الصحابة والتابعين التي يُعتمد عليها في بعض المذاهب الإسلامية فمما لا حجة فيه ولا دليل عليه .

٣- العقل ، وهو من المدارك التي اختلف عليها المفسرون ، فبعضهم رفض الاعتماد عليه وبعضهم الآخر أخذ به ، يقول العلامة الطباطبائي : فأمّا المحدّثون فاقتصروا على التفسير بالرواية عن السلف من الصحابة والتابعين .. وقد أخطأوا في ذلك فإن الله سبحانه وتعالى لم يبطل حجة العقل في كتابه ، وكيف يعقل ذلك وحجيته إنما تثبت به ! ولم يجعل حجيّة في أقوال الصحابة والتابعين - مقدمة التفسير - ، وصرّح السيد الخوئي (قدس سره) في البيان وهو يذكر ما يتبعه المفسر من مدارك للتفسير : أو يتبع ما حكم به العقل الفطري الصحيح فإنه حجة من الداخل كما أن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) حجة من الخارج - راجع البيان - . ولقد بيّن بعض المفسرين معنى الإدراك

العقلي للقرآن بالفكر الصحيح الذي يحيل القرآن اليه ويبني على تصديق ما يدعو إليه من حق أو خير أو نفع ، ويزجر عنه من باطل أو شر أو ضرّ إنما هو الذي نعرفه بالخلقة و الفطرة مما لا يتغير ولا يتبدل ولا يتنازع فيه إنسان وإنسان ولا يختلف فيه أثنان ، وإن فرض فيه اختلاف أو تنازع فإنما هو من قبيل المشاجرة في البديهيات - اللباب في تفسير الكتاب / كمال الحيدري ج١ص٤٢ - .

4- ظاهر معاني اللغة العربية ، ويعتمد هذا المنهج على قاعدة (ظاهر القرآن حجة) ، يقول السيد الخوئي (قدس سره) : ولا بد للمفسّر من أن يتبع الظواهر التي يفهمها العربي الصحيح - فقد بيّنا لك حجية الظواهر - البيان ص ٣٩٧ - . ولقد استدلّ (قدس سره) على حجية ظواهر القرآن بأربع دلالات نذكرها بتصرف واختصار :

أولا ً : قد تحدى الرسول العرب على أن يأتوا بسورة مثله ، ومعنى هذا أن العرب كانت تفهم معاني القرآن من ظواهره ولو كان القرآن من قبيل الألغاز لم تصح مطالبتهم بمعارضته ولم يثبت لهم إعجازه .

ثانياً : الروايات الآمرة بالتمسك بالقرآن تعني الأخذ به و العمل بما يشتمل عليه .

ثالثاً : الروايات الآمرة بعرض الأخبار على الكتاب صريحة في حجة ظواهر الكتاب .

رابعاً : استدلالات الأئمة (عليهم السلام) على جملة من الأ

أحكام الشرعية بالآيات .

5 - هنالك مدارك أخرى عليها خلاف شديد بين العلماء ، كالاعتماد على المنهج الباطني والمكاشفة الناتجة عن الرياضات الروحية ، أو المنهج الفلسفي والاعتماد على فنون الفلسفة كالرياضيات والطبيعيات والآليات والحكمة المتعالية ، أو ما ظهر مؤخراً من الاعتماد على المنهج المستند الى الحس و التجربة .. إلى غيرها من المدارك .

التفسير التجزيئي والتفسير الموضوعي : وهما أسلوبان متغايران في بعض الجوانب فيما يخصّ طريقة تناول آيات القرآن في التفسير ، فالتجزيئي وهو الطريقة السائدة والأكثر شيوعاً والأقدم استخدامة حيث يقوم المفسّر بتفسير القرآن من أول سورة الفاتحة وحتى آخر سورة الناس ويسير مع الآيات والسور حيث هي تسير وحسب سياقها الخاص والعام ، وأمّا التفسير الموضوعي هو أن يتم اختيار موضوع معين ويتم معالجته من خلال آيات كتاب اللّٰه تعالى بغض النظر عن موضعها ، مثل مناقشة معنى التوحيد في القرآن أو الشورى ... الخ فيتم استعراض كافة الآيات التي تتطرق للموضوع المعين والخروج بفهم موحّد ونهائي له أو تفسير مجموعة آيات متتابعة في المصحف الشريف وهي بالأصل تتناول موضوعاً معينا .

قواعد تفسيرية

هنالك عدة قواعد نافعة في التفسير وتعين المفسر على أداء مهمّته بأفضل وجه ، فبعض هذه القواعد يشترك بها علم التفسير مع باقي العلوم ، كقواعد اللغة التي يشترك بها مع علم الفقه مثلا ً وقواعد علم المنطق الذي تشترك فيه مجموعة من العلوم .. وهكذا ، بينما البعض الآخر من تلك القواعد يختص بها علم التفسير دون غيره أو هي أقرب له من غيره ، وهذا ما نريد ذكره هنا ، غير أننا سنقتصر على ثلاث منها ونترك التفصيل للكتب المختصة في ذلك .. ومن تلك القواعد :

القاعدة الأولى : اعتبار السياق

السياق : هو كل ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه من دوال أخرى ، سواء كانت لفظية (كالكلمات التي تشكل مع الذي نريد فهمه كلاماً واحداً مترابطاً) أو حالية (كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع) - دروس في علم الأصول ، محمد باقر الصدر ج

١ص٩٠ - . وللسياق أهمية كبيرة في تحديد مراد الآية أو الآيات ، فهو " يرشد إلى تبيين المجمل ، وتعيين المحتمل ، و القطع بعد احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوّع الدلالة ، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظراته" - فوائد البدائع لابن القيّم الجوزية ج٢ص٣٠١ - .

مثال في تطبيق القاعدة : اعتمد العلامة الطباطبائي منها في تحديد معنى (النبأ العظيم) في آيات سورة النبأ (عمّ يتساءلون ، عن النبأ العظيم) حيث قال : والمراد بالنبأ العظيم نبأ (البعث والقيامة) الذي يهتم به القرآن العظيم في سوره المكية .. ويؤيد ذلك سياق آيات السورة بما فيه من الاقتصار على ذكر صفة يوم الفصل وما تقدم عليها من الحجة على أنه حق واقع - الميزان ج٢٠ - .

فلاحظ : استفاد من سياق القرآن المكي ككل ومن سياق نفس السورة في تحديد المعنى ، بل الأمر أكثر من ذلك ، فإنه غلّب السياق على بعض الأخبار الواردة بأن النبأ العظيم هو عليّ (عليه السلام) فيقول : في بعض الأخبار أن النبأ العظيم علي (عليه السلام) وهو من البطن - الميزان ج٢ ص ١٧٩ - .

القاعدة الثانية : الجري والتطبيق

هو انطباق ألفاظ القرآن وآياته على غير ما نزل فيه - قواعد التفسير / محمد فاكر ص ٣٠١ - .

• فمن تطبيقات القاعدة هو التوسع في المفهوم أو المصداق ، كالآية (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فإن أفراد القوة متغيرة بتغير الزمان والمكان وقد لا تقتصر على مفهوم واحد معروف دون غيره .. وهكذا .

• ومن تطبيقاتها التمثيل ، كما جاء في الميزان في تفسير قوله تعالى (السابقون السابقون) : أن تفسيره بحبيب النجار المذكور في سورة يس أو علي (عليه السلام) السابق إلى الإيمان بالنبي (صلى الله عليه واله وسلم) هو التمثيل .

• ومن تطبيقاتها التنظير ، أي التشبيه ، كتشبيه باب حطة الواردة في القرآن بالأئمة (عليهم السلام) ، فورد عن الامام الباقر (عليه السلام) نحن باب حطتكم وقوله نغفر خطاياكم أي : تصفح وتعفو عن ذنوبكم) - مجمع البيان ج١ ص١١٩ - .

• ومن تطبيقاتها هو ذكر المصداق للمفهوم ، مثل تفسير الكوثر في سورة الكوثر والتي تعني الخير الكثير ففسرت بـ القرآن أو النبوة أو نهر في الجنة . ومن تطبيقاتها هو بيان المصداق الأعلى للمفهوم ، كما ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله) : عليّ أفضلهم وهو ممن ينفق

ماله ابتغاء مرضات الله .

القاعدة الثالثة : المناسبة

وهي قاعدة تفسيرية وعلم مستقل من علوم القرآن الكريم عن طريقها يعرف الترابط.الموضوعي بين آيات و سور وألفاظ وقصص وأساليب..... الخ القرآن الكريم ، وهي من المفاتيح المهمة لفهم و تفسير القرآن المجيد ،ولقد أهتم بها العلماء أيّما اهتمام وبحثوا وصنفوا فيها كثيرا ، فمن تلك التصنيفات مثلا ً : (البرهان في تناسب سور القرآن) لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هج) و (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) لبرهان الدين (ت ٨٨٠ هج) ، و (تناسق الدرر في تناسب السور) للسيوطي (ت ٩١١ هج) .

" المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها الى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسّي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه ، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى لذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء .. " - الاتقان للسيوطي ص٨٧٠ - . ومن أمثال وأشكال المناسبة في القرآن الكريم :

☆ المناسبة بين الأسماء الحسنى المذكورة في نهاية بعض

آيات القرآن الكريم ومضمون الآية (وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) . فالتعقيب بهذين الإسمين الكريمين يدل على أن مجرد الاستعاذة بـ اللسان لا تكفي بل لا بد من تواطؤ القلب مع اللسان ، فهو تعالى سميع لما يقال وعليم بما يدور في الضمائر .

☆ ومنها المناسبة بين الأقسام (جمع قَسَم) المتوالية وتناسب الأقسام وجوابها ، مثل ما أشار اليه الطباطبائي في تفسير قوله تعالى (والضحى ، والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى) مناسبة نور النهار وظلمة الليل لنزول الوحي وإنقطاعه .

☆ ومنها المناسبة بين السور والمناسبة بين آية و آية أو بين مجموعة من الآيات ومجموعة من الآيات أو بين الأ لفاظ وكذلك تناسب فواتح السور وخواتمها وصدر الآية وذيلها .

تأويل القرآن

التأويل لغة : من الأوْل ، أي الرجوع الى الأصل ، ومنه الموئل الذي يرجع إليه - مفردات الراغب - .

اصطلاحاً : بمعني أن هناك حقائق خارجية تستند إليها آيات القرآن في معارفها وشرائعها وسائر ما بيّنتها بحيث لو فرض تغيّر شيء من تلك الحقائق انقلب ما في الآيات من

المضامين - اللباب ، الحيدري ج١ص٩٩ - .

وإن مما يستدل فيه على أن للقرآن حقيقة خارجية هو قوله تعالى : (إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون ، وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) الزخرف ٣ ،٤ . وهناك عدة أمور ينبغي الإشارة لها :

الأمر الأول : أن التأويل لا يقتصر على الآيات المتشابهة فقط وإنما يشمل حتى المحكمة .

الأمر الثاني : لا تعتبر المفاهيم الذهنية للألفاظ تأويلا ً لها ، وكذلك لا دليل على إطلاق التأويل على المعنى المخالف لظاهر اللفظ .

الأمر الثالث : الحقائق التي يؤول اليها القرآن الكريم هي باطن القرآن التي تظافرت الروايات على وجوده للقرآن ، عن الإمام علي (عليه السلام) : سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول : ليس من القرآن آية الآ ولها ظهر وبطن ، وما من حرف الآ وله تأويل - بحار الأنوار ج٣٣ ص ١٥٥ .

طرق الوصول إلى باطن القرآن (تأويله) : ذكر المحققون بأن حقائق القرآن ليست من المفاهيم والأفكار التي تدرك بالقياسات الفلسفية والبراهين العقلية... الخ ، وإنما وضعوا لها عدة طرق تتبع في ذلك ، من أهمهما طريقان :

١- ينبغي الإحاطة بالتفسير الظاهري للقرآن الكريم كخطوة أولى ، يقول الغزالي : لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الا

الظاهر أولاً ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ، ومن ادّعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب - احياء هلوم الدين ج١ص٢٩١ - . " اذن المنهج الصحيح هو الإيمان بالظاهر والباطن معاً بشرط أن تكون الانطلاقة من الظاهر ثم الالتفات إلى أن لكل واحد منهما شروطه وآدابه الخاصة ومنهجه المتميز - اللباب ص ١٢٦ - .

٢- المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكليّة على الله تعالى وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات وهي رحمة من الله عز وجل تفيض على كل من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق المعنوي وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب - احياء علوم الدين ج١ص٩٩ - " وإنما الطريق اليه يمر من خلال طهارة القلب ، قال تعالى (إنه لقران گريم ، في كتاب مكنون ، لا يمسّه إلا المطهرون - اللباب ص١٢٣ - .

نختم هذا الدرس بخاتمتين :

الأولى : أن التفسير وهو المعاني الظاهرية يعتبر من العلوم الحصولية ، والتأويل وهو من المعاني الباطنية للقرآن الكريم ومن العلوم الحضورية .

والثانية : أن محور جميع المعارف والحقائق القرآنية هو التوحيد - راجع اللباب ص ١٤٦ - .

فهم القرآن من خلال أهل البيت (عليهم السلام)

من إحدى أهم المداخل المهمّة لإستظهار واستبطان القرآن من ناحية ، والتنعّم بفضائله وخصوصياته وهديه وشفاءه ونوره وموعظته.. هم عترة النبي الأكرم صلوات اللّه عليه وعليهم المفروضة طاعتهم والثابتة إمامتهم وخلا فتهم له صلى اللّه عليه وآله وحسب ما هو ثابت في محلّه ، وهم الأئمة الأثني عشر ، (أولهم علي بن ابي طالب وآخرهم الإمام المهدي) ومعهم السيدة الزهراء صلوات اللّه عليهم أجمعين .

وفيما يلي نذكر عدة أمور تثبت لنا هذه الحقيقة :

١- هم ثقل الكتاب وعدْلهِ بنصّ الرسول الأكرم صلوات اللّه عليه في آخر خطبة خطبها : إني تارك فيكم الثقلين ، الثقل الأكبر والثقل الأصغر ، فأمّا الأكبر فكتاب ربي وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي ، فاحفظوني فيهما فلن تضلّوا ما تمسكتم بهما . تفسير الصافي ج١ ص٢١ .

٢- عندهم علم القرآن ، فعن الإمام الباقر (عليه السلام) : ما ادّعى أحد أنه جمع القرآن كله كما أنزل الا كذّاب ، وما جمعه وحفظه كما نزّله اللّه تعالى الا علي بن ابي طالب (عليه السلام) والائمة من بعده (عليهم السلام) - اصول الكافي ، كتاب الحجة ص٢٢خ - . وفي تفسير العياشي عن ا

لإمام الصادق (عليه السلام) قال : إنّا أهل بيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره .. وعنه (عليه السلام) : نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله وعنه (عليه السلام) : (بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم) قال : هم الأئمة - تفسير الصافي ص١٢٠ - .

٣- سيرتهم تعتبر قرآناً ناطقا ، كونها تجسّد آيات القرآن الكريم وتأوله على شكل تطبيق وعمل وهذا من أبلغ وأبين أشكال التفسير..! ، ففي تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : يا أبا محمد إذا سمعت الله ذكر قوم من هذه الأمة بخير فنحن هم وإذا سمعت ذكر قوماً بسوء ممن مضى فهم عدونا .

٤ - ما ورد عنهم (عليهم السلام) من مأثور روائي خاص بـ القرآن الكريم تفسيراً وتأويلا ً وتبياناً لفضائله وخواصه وتعليمة لآداب وضوابط التعامل مع القرآن الكريم.. الخ .

إعجاز القرآن

الإعجاز لغةً : من عجز ، هو ما يقابل القدرة في الجملة ، ف العجز له مراتب ، وبإنتفاء القدرة على أي شيء كان وفي أيّ مقدار يتحقق مفهوم العجز - التحقيق للعلامة مصطفوي مادة (عجز) - .

الإعجاز اصطلاحاً : أن يأتي المدّعي لمنصب من المناصب ا لإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه - البيان للسيد الخوئي ص٣٥ - .

ولقد كان للأنبياء معاجز خاصّة بهم والقرآن الكريم هو معجزة نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) ، ولقد روي أن ابن السكيت أنه قال لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) : لماذا بعث الله موسى بن عمران (عليه السلام) ب العصا ، ويده البيضاء و آلة السحر ؟ وبعث عيسى بآلة الطب ؟ وبعث محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى جميع الأنبياء بالكلام والخطب ؟ فقال أبو الحسن (عليه السلام) : إن الله لما بعث موسى (عليه السلام) كان الغالب على أهل عصره مثله ، وما السحر ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم أبطل به سحرهم وأثبت به

الحجة عليهم ، وإن الله بعث عيسى (عليه السلام) في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله ، وبما أحبي لهم الموتى وأبرأ الأكمه والابرص بإذن الله وأثبت به الحجة عليهم ، وإن الله بعث محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام - وأظنه قال الشعر- ، فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجة عليهم - أصول الكافي ج١ ص٢٤ - .

" وقد كانت للنبي معجزات أخرى غير القرآن ، كشقّ القمر وتكلم الثعبان وتسبيح الحصى ، ولكن القرآن أعظم هذه المعجزات شأناً وأقومها حجّة لأن العربي الجاهل بعلوم الطبيعة و أسرار التكوين قد يشك في هذه المعجزات وينسبها الى أسباب علمية يجهلها وأقرب هذه الأسباب الي ذهنه هو السحر فهو ينسبها اليه ، ولكنه لا يشك في بلاغة القرآن وإعجازه ، لأنه يحيط بفنون البلاغة ويدرك أسرارها ، على أن تلك المعجزات الاخرى موقتة لا يمكن لها البقاء - البيان للخوئي ص٤٢ - .

من وجوه الإعجاز القرآني : والقرآن الكريم معجز في أكثر من وجه ولا زال إعجازه قائمة ولا زالت جوانبه الإ عجازية تكتشف يوما بعد يوم ، ومن تلك الجوانب المعروفة نذكر بعض ما ذكره السيد الخوئي (قدس سره الشريف) في تفسيره (باختصار وتصرف) :

الوجه الأول : أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة واحدة . وكان من الجدير بالعرب وهم الفصحاء والبلغاء أن يجيبوا لذلك ولكنهم عجزوا . فبعضهم أقرّ وإنقاد وبعضهم ركب جادة العناد . ولقد صرّح القرآن الكريم بهذا الوجه الإ عجازي : (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) الاسراء ٨٨ .

الوجه الثاني : رغم أن الكتاب صرّح بأميّة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ولم يعترضوا على ذلك كونه صلوات اللّه عليه ترى في وسطهم ، فقد أتاهم في كتابه المرسل به من المعارف ما أبهر عقول الفلاسفة وأدهش مفكري الشرق والغرب منذ ظهور الإسلام الى هذا اليوم .

الوجه الثالث : الإخبار بالغيب ، حيث أخبر القرآن الكريم في عدّة من آياته عن أمور مهمة تتعلق بما يأتي من الأنباء والحوادث ، كالآية التي وعد اللّه جل وعلا فيها المسلمين النصر في بدر رغم قلة العدة والعدد ، حيث قال تعالى (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ) الأنفال ٧ .

الوجه الرابع : أسرار الخليقة ، أخبر القرآن الكريم في غير واحدة من آياته عما يتعلق بسنن الكون ونواميس الطبيعة والأفلاك وغيرها ، فتطرّق لأسرار نبات الأرض والرياح والأف

لاك .. وأشار الى بعض الإشارات العلمية التي لم تكتشف الأ مؤخراً وفي عصور الذرة والتكنولوجيا .

أقول : وعلى طول العصور أدلى أهل الفن والاختصاص و العلم والدراية والمعرفة صورة ووجوه إعجازية مختلفة وحسب اختصاصاتهم المتنوعة ، الطبية والهندسية و الطبيعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية .. الخ ، ولا زالت البحوث مستمرة تستقي من هذا المعين الذي لا ينضب .

ولا بد هنا من الإشارة الى ملاحظتين :

الأولى : أن القرآن لا يتطرق إلى العلوم بطرحها الفني الحرفي والتخصصي كقوانين ومعادلات وصيغ رياضية.. الخ ،.وإنما يشير اليها اشارة ويعطي لبعضها مذهباً يحتذى ويفتّق للبعض الآخر بعض الأفكار الدقيقة والخافية على الإ نسان عادةً وهكذا ..

الثانية : لا بد أن لا يتعاطى المسلمون مع القرآن فيما يخص الإعجاز القرآني (.العلمي على وجه الخصوص) بجانبه السلبي بحيث يكون هدفهم إثبات عظمة القرآن فقط ،.وإنما ينبغي اجتياز هذا الهدف والعكوف على القرآن للإستفادة منه في مختبراتنا وحقولنا ومدننا وأن نجد علومه وإفادته إلى واقع معاش في الخارج ، فإثبات عظمة وإعجاز القرآن أصبح واقعاً ويعتبر من تحصيل الحاصل

وآن الأوان إلى المنفعة الفعلية منه واستعماله في حياتنا بكافة جوانبها .

التدبر في القرآن

وهو من أهمّ واجبات المسلم اتجاه القرآن الكريم بصريح الآية المباركة (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) ص ٢٩ .

والتدبر : هو التأمل في آيات القرآن الكريم ، أو حالة في القراءة تقابل المرور العابر لآيات كتاب اللّٰه تكتشف به معارف القرآن ومراد آياته ويعكس على صاحبه آثار وبركات جمّة على مستوى العقيدة والسلوك ، يقول صاحب الميزان : لا يلبث المتدبر أن يشاهد القرآن كتاب يداخل جميع

الشؤون المرتبطة بالإنسانية من معارف المبدأ والمعاد و الخلق والإيجاد ثم الفضائل العامّة الانسانية ، ثم القوانين ا لاجتماعية والفردية الحاكمة في النوع حكومة لا يشذّ منها دقيق ولا جليل .. - الميزان تفسير آية ٢٨ من سورة النساء .

و" التدبر في القرآن هو الطريق للعمل بما جاء فيه .. وذلك لأن العمل بالقرآن يتوقف على فهمه .. وفهم القرآن لا يمكن الا بالتدبر في آياته " - التدبر في القرآن : محمد رضا الشيرازي ج١ ص ٥٢ - .

مستويات التدبر : التدبر في القرآن له عدّة مستويات ومراتب بتعدد مستويات ومراتب القرآن نفسه ، ونقصد بمستويات ومراتب القرآن هو ما أشارت إليه جملة من الروايات الشريفة ، عن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) : " أن للقرآن ظهراً وبطناً ، ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن " - مقدمة تفسير الصافي - . وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : " كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء : على العبارة والا شارة واللطائف والحقائق ، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء " . ولكل مستوى مقدماته الواجب توفرها بالمتدبر وآثاره المنعكسة عليه .

مفاتيح التدبر : صرّحت الآية المباركة (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) بأن هنالك أقفال تكون موانعاً للتدبر وحُجب بين الإنسان وهذا الواجب وأثره المبارك ، فما هي مفاتيح تلك الأقفال التي تزيل عنّا أثرها السيء .. ؟ الجواب : يمكننا من خلال الاستفادة من بعض النصوص

الشرعية الواردة معرفة قسم منها :

أولا ً : القرآن مفتاح القرآن ، فآيات القرآن الكريم يفسر بعضها البعض الآخر ، عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله وسلم) : إن القرآن ليصدق بعضه بعضا ، فلا تكذبوا بعضه ببعض - كنز العمال في سنن الأقوال للعلامة علاء الدين الهندي حديث ٢٨٦١ - . وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) : كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض - نهج البلاغة خطبة ١٣٣ - .

ثانياً : الراسخون في العلم ، فإنهم مفاتح فهم القرآن ، قال.تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) ، وورد أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال لأبي حنيفة : أنت فقيه العراق ؟ قال نعم ، قال فيم تفتيهم ؟ قال بكتاب الله وسنّة نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : يا أبا حنيفة : تعرف كتاب الله حق معرفته ؟ وتعرف الناسخ و المنسوخ ؟ قال نعم ، قال (عليه السلام) : يا أبا حنيفة : لقد ادعيت علما ، ويلك ما جعل الله ذلك الا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم ، ويلك ولا هو الا عند الخاصّ من ذرية نبينا محمد (صلى الله عليه واله) وما ورّثلك الله من كتابه حرفا) .

ثالثاً : العلم ، قال تعالى (قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا) الإسراء ١٠٧ . فكلما كان المتدبر في القرآن الكريم حاملا ً للعلوم التي يحتاج اليها بشكل مباشر كعلوم اللغة وعلوم القرآن مثلا ً أو بشكل غير مباشر كالعلوم المتنوعة الأخرى .. كلما كانت استفادته من القرآن الكريم أكبر .

رابعاً : التقوى والعمل بأوامر القرآن الكريم والشريعة الإسلا مية وتهذيب العقل والروح والنفس .. كلها مفاتيح لفهم.القرآن الكريم واستيعابه كما ينبغي ، فهو هدي وموعظة وتذكرة ولكن للمتقين (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى المتقين) (هذا بيان الناس وهدى وموعظة للمتقين) (وانه لتذكرة للمتقين) ، وهو رحمة وشفاء للمؤمنين (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) (قل هو للذين آمنوا هدى وشيقاء و الذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) .

وإن القرآن وإن كان في كتاب مكنون لا يصل الى غوره أحد ولكن للمطهرين ليس كذلك (إنه لقران كريم ، في كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهرون) .

خامساً : آداب القراءة ، وهذه من مفاتيح التدبر القرآن الكريم المهمة ، كالطهارة (لا يمسه إلا المطهرون) والا ستعاذة (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) والترتيل (ورتل القرآن ترتيلا) والقراءة في نفس المصحف (عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله

وسلم) : ليس شيء أشدّ على الشيطان من القراءة في المصحف نظراً) - الوسائل باب ١٩ ح٢ - وقراءته حق القراءة (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) وورد في تفسير هذه الآية (حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في الأولى ويستعيذ من الأخرى) - الوسائل باب ٢٧ ح ٧ . كذلك اختيار الأوقات والأماكن المناسبة للقراءة ، فعن النبي (صلى اللّٰه عليه وآله وسلم) : ما اجتمع قوم في بيت من بيوت اللّٰه تعالى يتلون كتاب اللّٰه ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم اللّٰه فيمن عنده - التبيان في آداب حملة القرآن ص٨٢ - . ومنها قراءته بحزن ، عنه ص وآله : القرآن نزل بحزن فاقرأوه بحزن - الكافي ج٢ص ٦١٤ - .. الى آخر الآداب التي ذكرها العلماء اعلى اللّٰه مقامهم جميعا ..

الناسخ والمنسوخ

النسخ لغةً : يأتي بمعنى الاستكتاب ، مأخوذاً من قول العرب (نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه إلى كتاب آخر) . ويأتي بمعنى الإزالة ، مأخوذاً من كلام العرب (نَسَخَت الشمس الظلّ) .

النسخ في القرآن : جاء معنى النسخ في القرآن على المعنيين أعلاه ، في معنى الاكتتاب قال تعالى (هَٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الجاثية ٢٩ . وفي معنى الإزالة ، قال تعالى : (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) البقرة ١٠٦ . وهذا

المعنى الأخير هو محلّ البحث والدراسة عند المختصين بعلوم القرآن ولقد أعطي له ثلاثة أشكال :

الأولّ : نسخ التلاوة دون الحكم ، بمعنى أن تنزل آية من

القرآن الكريم تحمل حكماً معيناً ثم تنسخ (تزال وترفع من القرآن) هذه الآية بآية أخرى تحمل نفس حكم الآية المنسوخة .

الثاني : نسخ التلاوة والحكم ، بمعنى زوال (نسخ) الآية وحكمها عن القرآن ولم تستبدل بآية أخرى تحمل الحكم نفسه .

الثالث : نسخ الحكم دون التلاوة ، بمعنى نزول آية أخرى تنسخ حكم آية سابقة وتحلّه محل حكمها بدون إزالتها لنفس الآية السابقة ، وهذا القسم هو المشهور بيت العلماء و المفسّرين . ولقد أعطي لهذا النوع من النسخ قسمين هما :

القسم الأول : أن الآية الناسخة كانت ناظرة إلى الحكم المنسوخ ومبينة لرفعه كآية النجوى .

والقسم الثاني : أن الآية الناسخة غيرة ناظرة للآية المنسوخة وإنما يلتزم بالنسخ لمجرد التنافي بينهما فيلتزم بالآية المتأخرة على المتقدمية .

ولقد أبطل السيد الخوئي (قدس سره) في البيان كل من الشكل الأول والثاني كونهما قولا ً بتحريف القرآن وكذلك أنهما منقولان بأخبار الآحاد والتي لا أثر لها في هكذا مقام . وأما الشكل الثالث فلقد قال (قدس سره) بإمكان وقوع القسم الأول منه وأما القسم الثاني (الناسخة غير ناظرة

للمنسوخة) غير موجود في القرآن لأنه يستلزم وقوع الإختلاف فيه وهذا ما نص القرآن نفسه على نفيه (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) النساء ٨٢ ، وإن ما ثبته بعض المفسرين من مصاديق لهذا القسم فهو توّهم منهم بسبب قلة التدبر أو التسامح بإطلاق لفظ النسخ بمناسبة معناه اللغوي ، كإطلاق النسخ على المقيد بالنسبة للإطلاق والخاص بالنسبة للعام وما يشبه ذلك . وقد أضاف قدس سره لهذا الشكل (الشكل الثالث) قسماً ثالثاً وقال بحجيّته وهو :

أن الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بالسنّة المتواترة أو بالإجماع القطعي الكاشف عن صدور النسخ عن المعصوم (عليه السلام) وهذا القسم من النسخ لا إشكال فيه عقلاً ونقلا .

شبهة : إن النسخ يستلزم عدم حكمة الناسخ أو جهله بوجه الحكمة وكلا هذين اللازمين مستحيل بحقه تعالى..! فكيف يكون ذلك..؟ الجواب: مما أجيب على هذه الشبهة - البيان للسيد الخوئي بتصرف قليل - :

١. ان الحكم المجعول من قبل الحكيم قد لا يراد منه البعث والزجر الحقيقيين ، وإنما لمجرد الامتحان فقط ، وعليه : فالإثبات والرفع في وقته على مقتضى الحكمة ، وهذا النسخ لا يخالف حكمة الحكيم .

٢. قد يكون الحكم المجعول حقيقياً ولكنّه كان بالأصل مقيّداً بزمان خاص معلوم عند الله جلّ وعلا ومجهول عند

الناس .

٣. الشبهة لها موضوع عند من يقول أن للأحكام مصالح ومفاسد تكون في نفس العمل ، وقد أجبنا أعلاه أمّا عند من يقول أن مصالح الأحكام في الأحكام أنفسها كشأن الأحكام الامتحانية ، فلا موضوع للشبهة أصلا ً .

المحكم والمتشابه

هنالك إطلاقان في النصّ القرآني لمصطلحي الإحكام و التشابه هما :

الأول : بأن جميع آيات القرآن محكمة (الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) هود ١ ، وأنها جميعها متشابهة (اللّهُ نَزّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبّهُمْ ..) الزمر ٢٣ .

الثاني : أن آيات القرآن تنقسم على قسمين هما : آيات

محكمة وآيات متشابهة ، وذلك في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) ال عمران ٧ .

أما الإطلاق الأول فليس المراد من هذا الدرس ، كون المعنى المقصود فيه من الإحكام هو (ما يقابل التفصيل ، وهو حال من أحوال القرآن قبل النزول ، وهو كونه كان واحداً لم يطرأ عليه التجزي والتبعض بعد تكثر الآيات) ، و التشابه (المراد به كون آيات القرآن الكريم ذات نسق واحد من حيث جزالة النظم وإتقان الأسلوب وبيان الحقائق و الحكم والهداية الى صريح الحق) - راجع تفسير اللباب ج١ ص٨٧ - .

وأما الإطلاق الثاني فهو مدار الدرس ، والمقصود من الإ حكام والتشابه فيه :

المحكم : ما أنبأ لفظه عن معنى واحد لا يداخله شك ولا معارضة .

والمتشابه : ما أنبأ لفظه عن أكثر من معنى محتمل يحتاج إلى دليل أو قرينة لاختيار أحدها ، أو أنبأ عن معنى واحد ظاهر قريب ولكنه يتعارض ألأخذ به مع معنى محكم فيحتاج حينئذ الانتقال الى معانيه الأخرى غير الظاهرة وغير القريبة .

مثال المحكم : قال تعالى (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) - النساء ١١ - فنلاحظ أن المعنى مُحكم ويتحدث بلغة الأرقام ولا يتبادر للذهن معان كثيرة غير معنى واحد .

مثال المتشابه : قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ) - الفتح ١٠ - فيد الله معناها الظاهري القريب هو اليد الجارحة المعروفة ولكن هذا المعنى يتعارض مع معنى مُحكم (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) - الشورى ١١ - ، وعليه يستوجب ا لانتقال إلى معان أخرى خالية من التعارض وتتناسب مع الآ ية.. وهكذا .

سؤال: هل التشابه في معاني ألفاظ الآيات القرآنية يكون على مستوى المفهوم أو المصداق ؟ والجواب : هنالك من رأى أن التشابه يطرأ على المستويين معاً ، في حين يرى البعض الآخر أن المفاهيم دائماً محكمة ولكن تطبيقها المصداقي متردد بين عدّة احتمالات ، ويستدل على ذلك بعدة أمور :

الأمر الأول : صرح القرآن بأنه بياناً وتبياناً وهدىً ونوراً بلسان عربي مبين ، والتشابه في المفهوم لا ينسجم مع هذا التصريح .

الأمر الثاني : نعت القرآن البعض بأنهم (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ) ، والإتباع هذا دالّ على الإستقرار المفهومي لديهم ولكنهم لإثارة البلبلة والشبهة في الأذهان يتبعون مصداقاً غير المنطبق مع المصداق الواقعي للمفهوم بسبب زيغ قلوبهم .

سؤال : سمّى القرآن الآيات المحكمة بأنّها أم الكتاب ، فما معنى كونها أم الكتاب ؟ الجواب : الأمّ ما يُرجع إليه ، بمعنى رجوع الآيات المتشابهة في تحديد معناها إلى الآيات المحكمة ، وورد في هذا المعنى عن الإمام الرضا (عليه السلام) : من ردّ متشابه القرآن الى محكمه هُدي إلى الصراط المستقيم .

سؤال : ما سبب اشتمال القرآن على الآيات المتشابهة ؟

الجواب : أجيب على ذلك بأمور منها :

الأول : بسبب المعارف العالية والخارجة عن الحس والمادة في القرآن الكريم التي تتردد فيها الأفهام العادية وانصرافها إلى المصاديق الحسية التي أنستها. ولهذا أجاب على هذا الإ

إشكال الفيلسوف ابن رشد من خلال تصنيفه للناس إلى ثلا ثة أصناف هم : العلماء (أصحاب الحكمة العالية) و الجمهور وأرباب المذاهب الكلامية ، فالعلماء ليس عندهم تشابه كونهم يعرفون من كل آية وجه تخريجها الصحيح ، وأمّا الجمهور فيكتفون بالظاهر ولا يشعرون بالشكوك العارضة ، وأما الصنف الأخير هم الذين يوجد في.حقهم التشابه في الشرع والمأمومون من قبل اللّه جل وعلا .

الثاني : اشتمال قسم من القرآن على النواميس الاجتماعية والاحكام الشرعية التي طرأ عليها الناسخ والمنسوخ والذي أوجب ظهور المتشابه .

الثالث : المفاهيم العالية والغريبة عن طبيعة مجتمع وقت نزول القرآن مع ضرورة استخدام نفس الأساليب والتعابير التي كانت سائدة لديهم ، وبسبب ضيق الألفاظ الدارجة هذه عن تلك المفاهيم الجديدة وهي موضوعة (أي ألفاظهم المتداولة) لمعان هابطة ومبتذلة ممّا يسبب قصور أفهامهم عن.إدراك الحقائق والاقتصار على ظواهر اللفظ و التعبير ، كان العلاج هو اللجوء إلى صنوف المجاز وأنواع ا لاستعارات والكناية ودقائق الإشارات ، ولقد أشار السيد الطباطبائي في الميزان الى هذا السبب بقوله : أن سبب وقوع التشابه في القرآن يعود الى خضوع القرآن في القاء معارفه العالية لألفاظ.وأساليب دارجة هي لم تكن موضوعة لسوى معاني محسوسة أو قريبة منها ومن ثم لم تكن تفي بتمام المقصود فوقع التشابه فيها وخفي وجه المطلوب .. نعم ، إلا على أولئك الذين نفذت بصيرتهم وكانوا على مستوى رفيع - الميزان ج٣ص٥٨ بتلخيص - .

هجر القرآن : التهمة العظمى

للأنبياء شهادة فاصلة على أممهم يوم القيامة ، قال تعالى { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا } النساء ٤١ .

ومما سيشهد به علينا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة هو هجر القرآن ، فهذا منطوق الآية الذي يحمل مفهوم الشكوى ومفهوم الشهادة ، قال تعالى { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا } الفرقان ٣٠

ومما يمكن التعليق عليه هنا :

١. التعبير بـ (قومي) يوحي الى الهجر الجماعي وليس الفردي ، وكأنما المجتمع المسلم بكافة تشكيلاته وأعلاها الدولة لم تتخذ من القرآن دستوراً لها ..

٢. التعبير بـ (اتخذوا) يوحي الى قرار قد صدر من الأمّة بترك القرآن والاعتماد على مصادر بديلة عنه ..

٣. التعبير بـ (مهجورا) يدل على الترك مع الابتعاد ، مما يدل على زيادة في الترك والإعراض ..

٤. قالت الآية (هذا القرآن) ولم تقل (القرآن) فقط ، وأسم الإشارة هنا كأنما يدلّ على تعدد القرآن ، والتعدد هذا يمكن ان نفهمه باختلاف القرآن النازل على صدر الرسول عن القرآن المتداول الذي جمعته الأمّة ، او باختلاف القرآن المقروء عن القرآن الناطق كالائمة عليهم السلام ، أو يمكن أن يكون اسم الإشارة يدل على آية أو آيات معينة من القرآن لم تعمل بها الأمة وهجرتها .. وهكذا

كل هذا هو نوع تدبر في الآية الكريمة ، الا أنّ المعنى الأ ول المتبادر هو عدم العناية بالقرآن الكريم من قبل الأمة وأفرادها ، فلم يعتنوا به في مقام العلم وفي مقام العمل ، وهذه الجريمة سيروّج ملفّها رسول اللّه يوم القيامة وسيكون هو المشتكي فيها وصاحب الحق ، وهو الشاهد المُصدّق .. فهلا أنجينا أنفسنا من حسابها وعقابها .

♧♧♧♧

البُعد الأهمّ في أبعاد القراءة القرآنية

المحتوى القرآني متعدد المواضيع والتخصصات العلمية ، ففيه الجانب التأريخي وفيه الجانب الاجتماعي وفيه الجانب السياسي وفيه الجانب النفسي والطبي و الهندسي .. علاوةً على الجوانب الفقهية والعقائدية والأخلا قية ..

تختلف هذه الجوانب من حيث الاهتمام وتتنوع من

حيث الموضوع والتخصص الدقيق الاّ أنها كلها تجتمع في جانب واحد وهو الجانب القرآني ، هي تتخذ مسارات وخطوط عرضية مختلفة الاتجاهات والأطوال ، تتوازى وتلتقي ولكن لها نفس البعد العمودي وهو البُعد القرآني ..

قراءة المواضيع القرآنية بشكل أفقي وبدون النظر الى بعدها الثالث وعمقها الأهم يولّد عندنا بعض المشاكل والأخطار ، كالتناقض وضعف المضمون والفهم السيء و السطحية والقدح ببعض الشخصيات الربانية .. وهكذا

البُعد القرآني نعني به البُعد الإلهي بكل ما يلازم هذا المفهوم من معنى ، فنحن لا نأخذ من التمثيل بالكلب و الذباب والبعوضة الا الحكمة القرآنية من وراءها ، ولا نأخذ حادثة زواج الرسول ص وآله من زينب بنت جحش الا حكمها الفقهي القرآني ..

لم يذكر لنا القرآن حب زليخا ليوسف ومراودته له من أجل تحريك المشاعر والغرائز ، وانما علينا أن نبحث في أبعادها القرآنية الأخرى ، كتقوى يوسف وخطورة تخالط الغرباء ..

بالنسبة لنا نحن الذين نقرأ القرآن الكريم نختلف فيما بيننا في معرفة البعد القرآني للآيات والمواضيع ذات الأبعاد الأفقية المختلفة ، وطبعاً هذا الاختلاف ناشيء عن اختلاف ثقافتنا القرآنية والدينية عموماً واختلاف بصائرنا ومدى سموّ نفوسنا ، نختلف فيما بيننا أيضاً في الاستحقاقات ، فقد يكون على قلبي من اقفال التدبر ما لا يكون على قلبك .. وهكذا

هذه القراءة النورانية للقرآن من اعظم الرحمات الإلهية ، وهي بالتالي استحقاق كما قلنا ، قال تعالى { وَإِذَا قَرَأْتَ

الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا } الاسراء ٤٥

اللّٰهم نوّر قلوبنا بالقرآن واجعلنا ممن يقرأه كما يقرأه محمد وآل محمد

♧♧♧♧

الجهاد بالقرآن

استعمل القرآن الكريم لفظ ومفهوم الجهاد في أماكن متعدده من آياته وسوره الكريمة ، فتارةً أشار الى الجهاد بـ النفس ، وتارةً بالأموال ، وأعطى لكل من الجهادين قيمته العظيمة في الإسلام ، قال تعالى { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } النساء ٩٥

إلا أن ثمة جهاداً آخر ذكره القرآن الكريم لم يُلتفت اليه في العادة رغم أن القرآن وصفه بالكبير ..! ولا يذهب فكرُك

الى مجاهدة النفس الذي وصفه الرسول الأكرم بالجهاد الأ كبر كما في الرواية عند عودته من احدى المعارك .. وإنما نحن هنا بصدد النص والتعريف القرآني للجهاد الكبير وليس من خلال نص وتعريف السنة الشريفة وإن كانا من مصدرٍ ونورٍ واحد ..

فهل تعلم ما هو الجهاد الكبير في القران المجيد .. ؟ هو الجهاد بالقرآن نفسِه ، وهذا ما وصفه الله تعالى لرسوله ودعاه إلى العمل به ، قال تعالى { فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } الفرقان ٥٢ ، في الميزان : " به " للقرآن بشهادة سياق الآيات .

ولا يخفى أن الجهاد الذي يضع القرآن بديلا ً عن السيف وبديلا ً عن المال هو جهاد الفكر القرآني وجهاد الاعجاز ا لالهي ، هو جهاد الحجة الدامغة وجهاد البرهان القاطع ، وهو جهاد المعرفة النورانية ..

وكل هذه المعاني للجهاد بالقرآن وغيرها تحتاج الى مقدمة لا بد منها ، وهذه المقدمة هي فهم القرآن والتدبر بآياته .. هذا أولا ً ، ثم الإيمان بما جاء به من حقائق وأوامر وغيبيات وبشكل كامل وليس مجتزءا ً ثانيا .. فقبل أن يكون القرآن سلاحَنا في المعركة الكبيرة للجهاد ينبغي أن نُتقن استعمال هذا السلاح ونُجيد استعماله وأن نثق به تمام الثقة ..

القرآن دائماً منتصر ، لأنه حق والحق منتصر ، قال تعالى { ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } البقرة ١٧٦ وقال تعالى { وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا } الإسراء ٨١

اذن نحن بين يدي لون آخر من ألوان الجهاد الذي لا هزيمة فيه ولا تراجع ، وهو الجهاد الكبير في الإسلام .. فطوبى للمجاهدين .

♧♧♧♧

لا يتوقف تفسير القرآن عند حدّ

تفسير القرآن الكريم وبيان مراد الله تعالى من آياته الكريمة لا يتوقف عند حدّ معين ولا يمكن أن نضع تفسيراً

نهائياً له ، ومن ادّعى ذلك فإنه بذلك سيضرب الإعجاز القرآني أولا ً وسينقض أهم اغراض القرآن ككتاب خالد يجري مجرى الشمس والقمر كما في الخبر ..

طبعاً نحن نتكلم خارج دائرة المُرسل منه جلّ وعلا ودائرة المُرسل به صلى الله عليه وآله ومن هم عدل الكتاب صلوات الله عليهم اجمعين ..

ولتعزيز الفكرة وتوضيحها وتأييدها نحتاج الى أن ندخل في جانبين :

الأول : الآيات والروايات الدالة على هذه الحقيقة وهذه الصفة المتأصّلة في القرآن الكريم ومتلازماتها وحِكمِها و الغرض منها ..

الثاني : الضرورة الواقعية والعلمية والوجدانية التي نتلمّسها من ضرورة عدم توقف القرآن الكريم عند فهم وتفسير معين وعدم امكانية ذلك من الناحية العلمية و العملية ..

وهنا سأركز على الجانب الثاني وأترك الأول لثقافة القارىء وفطنته :

من الواضح لكل من اطلّع على التفاسير القرآنية - بمختلف مناهجها - والبحوث العلمية والفكرية التي كان الكتاب المجيد مادتها ، من فقه وعقائد وأخلاق وعلوم طبيعية وعلوم إنسانية .. الخ فضلا ً عن من مارس ذلك بيده تفسيراً أو بحثاً .. بأن الوقوف على مراد الله من آياته واستبيان مقاصد ومفاهيم القرآن هو من الحقائق المتحركة والقابلة للأنطباق على حالات لا حصر لها ولا تضييق ..!

فمفاهيم القرآن متحركة بتحرّك وتغيّر وتطور مصاديقها ، ك القوّة مثلا ً في قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .. فالخيل والسيف باتت اليوم طائرات وصواريخ ، و لا نعرف المستقبل ماذا ستكون ..!

ولا تنفك عملية التفسير من رفع ما يستجد من تشابهات وتناقضات في القرآن عند كل من تخيّل له وجود تشابه أو تناقض من قريب أو بعيد ..

ولا يفتىء المدافع عن القرآن أن يتبجح بالاعجازات القرآنية التي لا زالت تظهر وتتجدد في كل عصر ومصر مطردة مع ما يكتشفه الإنسان من علوم وقوانين وحقائق عن الكون وعن وجوده في هذه الأرض ..

ولا تتوقف عملية تبسيط وتيسير ألفاظ القرآن الكريم وأساليبه اللغوية والبلاغية المستعملة كلما ابتعدنا عن هذه اللغة زماناً ومكانا ..

ولا تتوقف عملية تحقيق التفاسير والآراء التفسيرية نفسها من قبل الأجيال المتعاقبة من المفسرين وهذا ما يفرضه طبيعة اتصال واستمرار تقدم العلوم وتطورها ..

كل هذه الأمور وغيرها تجعلنا نبتّ أنه لا يوجد تفسير كامل ونهائي للقرآن الكريم ما دامت الشمس تدور ومادام للقلم مداد وسطور ..

القرآن بلسانٍ عربي لا بلغةٍ عربية

لم يرد لفظ اللغة في القرآن الكريم وإنما جاء لفظ اللسان :

+ قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ) . ابراهيم ٤

+ وقال تعالى (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) . النحل ١٠٣

+ وقال تعالى (وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا) . الأحقاف ١٢

وآيات مباركات أُخر ..

وثبت في بعض التحقيقات أنّ لا ترادف في القرآن وأن هنالك قصدية في كل لفظ قرآني وبالشكل الذي لا يمكن فيه إستبدال لفظ مكان لفظ آخر .. وعليه فاللسان لا يعني اللغة ، ولنقل ليس بينهما معنى مطابقي بحيث يصلح أن يحلّ أحدهما محل الآخر في الآية ..

والتعبير باللسان هنا لا شك أنّه أكثر دقة وحكمة مادام قد أستعمله النص الشريف ، وسنحاول هنا ذكر بعض الإحتمالات التي نعتقد أنها من اسباب ذكر لفظ اللسان دون غيره وهي قابلة للنقاش طبعاً :

1. اللسان هو أسم العضو (الآلة) التي ينطق بها الإنسان ،

والنطق بلغة القرآن وألفاظه يكون من تمام قرآنيته وإعجازه وما يلازم ذلك من ثواب وآثار .. فكأنما عبّر بـ اللسان للتنويه إلى خصوصية القرآن بالقراءة والنطق وبشكل أكثر واكبر من الكتابة او الحفظ ..

٢. لخصوصية الفصاحة ، فغيرُ العربي حتى وإن تعلّم اللغة العربية إلّا أنّه لا يستطيع نطقها كما ينطقها العربي وستُلاحظ اللكنة كما يُعبّر واضحة على لسانه وكذا بالنسبة للعربي عندما ينطق غير العربية ، ولمّا كان القرآن كتاباً مقروءاً أكثر من كونه مكتوباً فإحتاج إلى نطق عربي سليم ، ولعلنا من هنا ندرك علّة ذكر الفصاحة دون البلاغة في قول الرسول ص وآله الذي مفاده : أنا أفصح من نطق بالضاد . وهذا أيضاً ينطبق على كل لغة ، فنلاحظ في هذه الآية المباركة (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ..) القصص ٣٤ إشارة واضحة لذلك حيث أن لغة نبي اللّه موسى ع ليست عربية ..

٣. لخصوصية البلاغة ، فلا ينحصر اللفظ بالصوت وإنما يتعدّى الى المعنى ، ومعنى اللفظ يتغير بتغيّره النحوي (الإعرابي) او الصرفي او موقعه الجُمَلي أو مناسبته التي قيلت فيه .. الخ ، وهذه التفاصيل من حيث أصل وجودها ووضعها وفلسفتها تعود الى أجواء العرب وأخلاقهم وعاداتهم وبعض طبائعهم .. فبعض الألفاظ مثلا ً اقترنت بحادثة جيدة فأصبحت محبّذة بينما بعضها الآخر اقترن بموقف تعيبه العرب فأصبحت اللفظة معيبة وهكذا .. هذه التفاصيل اذن تعود الى حضارة اهل اللسان ويعرفونها هم أكثر من غيرهم ولا تأتي بتعلّم اللغة فقط ..

فالتعبير باللسان اذن في إشارة دقيقة الى ثلاث خصوصيات مجتمعة ، هما : النطق والفصاحة والبلاغة ..

والبحث فيه الكثير والكثير من الكلام لمن أراد التوسعة

أساليب قرآنية في المُحاجّة

المُحاجّات القرآنية في إثبات الحق كثيرة ومتنوعة ، و التنوع هذا تارة يكون بتنوع الآخر (مشركون - كافرون - منافقون ..) أو بتنوع الموضوع (عقائد - أحكام - مواضيع اجتماعية أو علمية او تاريخية .. الخ) ..

وحريٌ بنا ان نتعلّم من القرآن أساليب المُحاجّة وطرقها ، وهذا ما نريد أن نتطرق له في هذا المقال أو البحث إن شاء اللّٰه تعالى وبشكل سريع ومقتضب ، ومن الأساليب القرآنية مثلا ً :

الأسلوب الأول : إلزام الآخر بما ألزم به نفسه

وهذا أسلوب قرآني وعقلي بإمتياز وهو من أولى خطوات محاججة الآخر وإفحامه ، لأنه هو الذي أقام الحجة على نفسه وما على المحاججِ الّا أن يذكّره بأنّ فعله على خلاف قوله أو قوله على خلاف معتقده وهكذا ..

فتراه يُحجم عن عمل يطابق قوله (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) ، (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) .. (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ) ..

الأسلوب الثاني : مطالبته بالدليل

أحيانا كثيرة لا يكون لدى الآخر أي دليل على فعله أو قوله أو معتقده ، فمطالبته بالدليل قاصمة له ومحرجة (أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ) .. (وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) ..

الأسلوب الثالث : إبطال دليل الآخر

فالمُقابِل أحياناً يكون خلافه معك نابع عن دليل معين قد تمسّك به ولم يكن جزافاً أو عناداً سذجةً منه ، وتمسكه بما يؤدي إليه دليله يُعتبر خصلة إيجابية بحدّ ذاته لا يمكنك ردعه عنها ، نعم عليك أولا ً أن تُبطل الدليل لتبطل النتيجة بالتبع كطريقة ناجعة في إقناعه ، وهو أسلوب

قرآني ويقرّ به العقل والمنطق ، (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) ، (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ،قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) ..

الأسلوب الرابع : توفير الدليل

قد يكون الآخر ليس لديه إلتزام معين بفكرة ولا عقيدة ولكنه بنفس الوقت لا يقبل فكرتك وعقيدتك بدون دليل ، فهذا اذن ليس لديه دليل كي تلزمه به أو تبطله له وكذلك أنه لم يلتزم بشيء حتى تطالبه بدليل وإنما هو هكذا لا يعتقد ولا يريد أن يعتقد جزافا ..!!

فهذا ما عليك إلا أن توفّر له الدليل وتعطيه الفكرة والعقيدة مع حجّتها التي تبهره وتجبره بها ، وهذا في الواقع التزام سماوي للبشر ، فإن الاديان جاءت ومعها حججها الدامغة ولم تطلب من الناس الإيمان بدون دليل اطلاقا ، وهذا النوع تجده أقرب للفطرة ولا يحتاج الى الأدلة الفلسفية المعقّدة والمعاني الغيبية العميقة وإنما فقط إلفاته الى حقائق ظاهرة وقريبة منه (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) ، (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) ..

الأسلوب الخامس : محاججة أهل الإختصاص بإختصاصهم

عندما تريد ان تقنع غيرك بفكرة معينة وكان له اختصاص معين أو مهارة معينة فمن المناسب أن تحاججه بما يفهمه ويختص به ، فالقرآن الكريم حاجّ العرب بفصاحته وبلاغته (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) .. وإستطاع موسى عليه السلام أن يُفحم السّحرة بما يشبه السحر ، فإذا أردتُ أن أُثبت للفيلسوف وجود خالق فأحاججه بقانون العليّة بينما إذا أردت أن أحاجج الفيزياوي بذلك فألزمه بقانون حفظ الطاقة (أن المادة لا تفنى ولا تستحدث) وهكذا ..

الأسلوب السادس : الحكمة والموعظة الحسنة

قال تعالى (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) .. وقال تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) ، فتفعل الأخلاق الحسنة والكلام الطيب ما لا تفعله القوانين المحكمة والفلسفات المعمقة ..

وهذه سيرة النبي الأكرم ص والأئمة المعصومين ، فكم من معاند جاء وركع أمام أخلاقهم وأدبهم ..

الأسلوب السابع : المباهلة

كما يقال بأن آخر الدواء الكي (ولا نقصد ختام هذه السلسلة) ، والمباهلة أو الملاعنة هي نوع من المحاججة شديد المستوى لا يقدم عليه إلا من كان على يقين بأنه على الحق لأن نتيجته مخزية في الدارين ، ولها شروطها وتفاصيلها ومواضيعها التي تنطبق عليها في الفقه الاسلا مي ، ولقد حصل هذا النوع من المحاجة ايام الرسول الاكرم ص ونزل فيه قرآن (فَمَنْ حَاجّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) ..

الأسلوب الثامن : لا مراء في الجدال الإسلامي

المراء : طعن الإنسان في كلام غيره لإظهار خلله واضطرابه ، لا لشيء إلا لتحقير قائله وإظهار مزيته عليه . وإنه حتى لو كان المماري على حق فإنه لا يجوز له أن يسلك هذا السبيل .. وكذلك يعرّف بأنه الإصرار على المجادلة ..

والجدل الإسلامي ينبغي أن يترفع عن المراء والغاية لا تبرر الوسيلة ، ولقد وبّخ القرآن الكريم الذين يجادلون الرسول

ص بمراء ﴿ أفتمارونه على ما يرى ﴾، (فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا) ، والمراء الظاهر كما يقول بعض المفسرين عدم التعمق بالجدال والاكتفاء بما يثبت الحق عند من يبحث عنه ..

.. هذه بعض أساليب وفنون المحاججة في القرآن الكريم

♧♧♧♧

قصص القرآن

القصة من إحدى أهم الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في إيصال رسالته ومراده الى الناس عامة والمسلمين منهم على وجه الخصوص ، قال تعالى : (نحن نقص عليك أحسن القصص يما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت

من قبله لمن الغافلين) يوسف ٣ . حيث ذكر القرآن في قصصه أخبار القرون والأمم الغابرة والشرائع القديمة وقصص الأنبياء وما جرى مع طواغيت زمانهم ..

والقصة لغة : من قصّ ، هو رواية واقعة جارية مضبوطة بأي وسيلة كانت ، قراءة أو سماعة ، على ما طابق الواقع .

ولذكر القصة في القرآن عدد من الأهداف والمقاصد ، منها :

1- فيها جانب من الإعجاز القرآني ، كون القصة هي من الغيب الذي يعجز عنه الآخرون ، قال تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ...) هود ٤٩ . فكان للقصة القرآنية الأثر في إثبات النبوة ودعم فكرة الوحي (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لين الغافلين) يوسف ٣ .

٢- فيها مواساة للرسول الأكرم صلوات الله عليه وتثبيتاً له في دعوته وللمسلمين عامة كذلك وهم يقودون مشروع اصلاحي كبير يواجه مصاعب وتحديات كبيرة وجمة أمام عقول متحجرة وقلوب قاسية وعادات متجذرة ، قال تعالى (وكلّاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) هود ١٢٠ .

٣- ذكر قصص الأنبياء والأقوام من آدم (عليه السلام) وحتى المسيح (عليه السلام) فيه إشارة إلى خاتمية الشريعة الإسلامية والتي تعني إتمام مسيرة الشرائع السابقة والهيمنة عليها ، قال تعالى : (وأنزلنا إليك الكتاب بـ الحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) المائدة ٤٨ ، وكذلك تعني عموميتها الأفقية ايضاً ، حيث لا تختص بقوم دون قوم (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سبأ ٢٨ .

٤ - لما في التاريخ من تجارب انتجت قوانيناً وأصولاً نافعة لمن يريد أن يقود مشروعاً اجتماعياً إصلاحياً يختزل مراعتها الزمن وتمنع الوقوع بنفس الاخطاء ، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام) : { أي بني إني وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي ، فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم ، بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمّرت من أولهم إلى آخرهم } نهج البلاغة .

٥- توضّح القصص القرآنية بشكل غير مباشر الحتمية التأريخية القاضية بانتصار الحق وأهل الحق تدريجياً وبخط تصاعدي عند النظر اليه كمحصلة نهائية وإجمالية رغم التفصيلات والجزئيات المتلكئة أحيانا . لما في ذلك ردعاً ونهياً لمن يريد معارضة هذا التيار الجارف ويحكم على نفسه الإرتماء في مزبلة التاريخ كما يقال ، قال تعالى (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين

من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها) محمد ١٠ .

6- للقصة أثرها في النفس مستمدّ من واقعيتها وصورتها الذهنية المنتزعة والحاكية عن الخارج ، وبهذا تأخذ دور الشاهد على ما قرره القرآن الكريم من مواعظ وعبر وتوجيهات وتحذيرات ، علاوة على المحافظة على دوام الا عتبار والتذكر لسهولة حفظها وفهمها والإحاطة بتفصيلاتها وتعطي للإنسان دور انتزاع المواعظ والحكم والتجارب بعدد وكيف ما يريد ويحتاج .

مميزات القصة القرآنية وأغراضها :

تتميز القصة القرآنية بميزات يجعلها مختلفة بناءً ومضموناً وأثراً من القصص التي يكتبها الجهد البشري بكافة مستوياته ، ومما ذكر في هذا الأمر من مميزات :

١- صدقها المطابق للواقع وبدون إدخال وإضافة بعض المحسّنات التخيلية الكاذبة للحصول على بعض الغايات كما يفعل أحدنا في نقل قصة وخبر ما ، قال تعالى في القصص (ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه) يوسف ١١١ ، علاوة على تهذيبها لكثير من القصص والأخبار التي طالتها يد التشويه والتحريف .

٢- قصص القرآن الكريم جاءت لإهداف لا لغرض العرض الفني وبيان حرفة العمل ومهارة القاصّ وما شاكل ذلك ، ق ال تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) .

٣- تأت القصة القرآنية الأغراض التسلية والسرد التأريخي المجرّد عن بيان السنن التأريخية الحاكمة والإشارة إلى فلسفة التأريخ وبيان العناصر المؤثرة فيه سلباً وإيجاباً ، وهي بذلك ترتقي بعلم التأريخ إلى مصاف العلوم الرياضية المختلفة ذات السنن الكونية والتكوينية الثابتة ، بمعنى أن القصص القرآنية لم تكن حوادث خلت غير قابلة للتكرار وإنما يشملها قانون (إن القرآن يجري كما تجري الشمس و القمر) تفسير العياشي ج١ص١١ .

٤- تميّزت بعض القصص القرآنية بظاهرة التكرار الهادف وغير المملّ ، وذلك لتبدل الهدف والغرض المطلوب من ذكرها في كل مرة ، كقصة موسى وفرعون التي نلاحظها في السور المكية تؤكد على قصة موسى (عليه السلام) وفرعون ، بينما يتركز الحديث في السور المدنية على قصته مع بني اسرائيل خاصّة .

♧♧♧♧♧

الأمثال في القرآن الكريم

المثل : مساواة شيء بشيء في الصفات الممتازة المنظورة ، وهذا مشابهة تامّة . (أقول : لعله يقصد بالممتازة بمعنى المميزة وليست الجيدة هنا) .

والشبه : مطلق مشابهة كلّاً أو جزءاً في الصفات الظاهرية أو من جهات معنوية .

المَثَل : ما يتصف بكونه مِثلا ً (شباهة في صفات أصيلة ممتازة) وهو المتمثّل في مقام إراءة أمر .

فالعبد المملوك في قوله تعالى (ضرب الله مثلا ً عبد مملوكاً) والبعوضة (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ً ما بعوضة) والشيطان (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) والحمار (كمثل الحمار يحمل أسفارا ..) ، هي أمثال يتجسّم فيها أمور منظورة يُراد إراءتها ، وفي المثل يتراءى أهمّ الصفات الممتازة والخصوصيات المقصودة) . العلامة مصطفوي ، التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، مادة (مثل) .

والتمثال : الشيء المصوّر ، ثم استعمل المثل بمعنى النظير ، ثم نقل منه إلى القول السائر (الشائع المشهور على الألسنة) ، ونقل الميداني عن المبرد أن المثل قول سائر يشبّه به حال الثاني بالأول .. ويقرر أبو الهلال العسكري صاحب كتاب جمهرة الأمثال أن : كل حكمة سائرة تسمى مثلا ً . (أساليب البيان في القرآن/ سيد جعفر الحسيني : ٦٣٢) .

أهمية المثل في اللغة

- الزمخشري في المستقصى : الأمثال قصارى فصاحة العرب العرباء وجوامع كلمها ونوادر حكمها وبيضة منطقها وزبدة حوارها وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة ، والركن البديع إلى دراية اللسان وغرابة اللسن حيث أوجزت اللفظ ، وأشبعت المعني وقصّرت العبارة وأطالت المغزى ، ولوحت فأغرقت في التصريح و كنّت فأغنت عن الإفصاح .
- الآلوسي في روح المعاني : لضرب المثل شأن لا

لا يخفى ، ونور لا يطفأ ، يرفع الأستار عن وجوه الحقائق ، ويميط اللثام عن محيّا الدقائق ، ويبرز المتخيل في معرض اليقين ويجعل الغائب كأنه شاهد .

- وقال النظام : يجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة .

استعمال المثل في القرآن

ولقد استعمل القرآن الكريم الأمثال كأحد أساليبه البيانية البلاغية في إيصال بعض الغايات وتحقيق بعض الأهداف ، وعادة ما يعبّر القرآن عن ذكره للأمثال بالضرب (ويضرب اللّه الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) ، يقول الشريف الرضي : وهذه استعارة (اي استعمال مفردة الضرب) والمراد بضرب الأمثال - واللّه أعلم - معنيان :

أحدهما : أن يكون تعالى أراد بضربها تسييرها في البلاد وإدارتها على ألسنة الناس من قولهم (ضرب فلان في الأ رض) إذا توغل فيها وأبعد في أقاصيها ..

والمعنى الآخر في ضرب المثل : أن يكون المراد به نصبه للناس بالشهرة لتستدل عليه خواطرهم كما تستدل على الشيء المنصوب نواظرهم . (تلخيص البيان في مجازات القرآن ص١٧٨) .

أنواع الأمثال في القرآن : جاءت على ثلاثة أنواع ..

١- الأمثال المصرّحة : أي صُرّح فيها لفظ التمثيل ، وفي القرآن الكريم ثمانية وثلاثون مثلا ً مصرّحاً، منها (إن اللّه لا يستحيي أن يضرب مثلا ً ما بعوضة فما فوقها) .

٢- الأمثال الكامنة : وهي التي لم يصرّح فيها بلفظ التمثيل ، مثل (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) .

٣- الأمثلة المرسلة : وفيها تشبيه ، وهي آيات جارية مجرى الأمثال مثل (أليس الصبح بقريب) ، (وأتوا البيوت من أبوابها) .

♧♧♧♧

أساليب البيان في القرآن

صرّح القرآن الكريم بأنه كتاب مُبين ، قال تعالى (قد جاءكم من اللّٰه نور وكتاب مبين) ، والمُبين يعني الواضح في المعنى والدلالة ، ولقد عرّف الجاحظ البيان في البيان و التبيين ج١ص٧٥ بقوله (الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي) ، ولا شك أن القرآن الكريم آية في البيان ومعجز في هذا الجانب .

ووراء البيان القرآني هذا أساليب قرآنية استعملها القرآن الكريم وأوضح مقصوده وأوصل مبتغاه وغايته عن طريقها ، ولقد ذكرنا بعض تلك الأساليب في موضوع القصص القرآني والمثل القرآني ، وهنا نريد التعرّض وعلى نحو الإ يجاز إلى بعض أساليب البيان القرآني الأخرى التي يُحسن ا لاطلاع عليها بل العكوف على معرفتها ودراستها ، كونها من الأدوات المهمّة التي تخرج لصاحبها من جواهر وكمائن القرآن ما يُسرّ به الفؤاد وتقرّ به العين ، وذلك كون الإعجاز البلاغي والبياني للقرآن من أوضح أفراد وأشكال الإعجاز التي تحدّى بها بلغاء وفصحاء العرب حينئذ .

ومن هذه الأساليب البيانية :

الأسلوب الأول : التشبيه ، هو عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر ، قصْد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة (مثل الكاف وكأن) لغرض يقصده المتكلم . وللتشبيه في علم البلاغة أركان وأنواع يترك التعرض لها هنا ، والأمثال أحد أنواع التشبيه ، ومن التشبيه في القرآن الكريم : (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين) ، (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح) .

الأسلوب الثاني : الاستعارة ، وعرفت بأنها تشبيه بليغ حُذف أحد طرفيه ، مثل (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) ، فكلمتا (الظلمات) و (النور) استعملتا للكفر والإيمان . وقوله (اهدنا الصراط المستقيم ، فالصراط استعارة تصريحية حيث شبّه الدين الحق بالصراط

المستقيم في أن كلا منهما يوصل إلى الغاية ثم حذف المشبه واستعيرلفظ المشبه به بدله.

الأسلوب الثالث : المجاز ، وهو كل كلمة أو جملة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين والثاني ، مثل (وأخرجت الأرض أثقالها) أي ألقت ما فيها من الموتى ، وأسند الفعل للأرض وهو بالأصل لا يوافق العقل وإنما حدثت فيها الحركة بقدرة اللّٰه جل وعلا . و(والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) والمراد باليد (القدرة) ، و(خذوا زينتكم عند كل مسجد) أي (لباسكم) . وكذلك للمجاز أنواع وأركان تترك لمحلّها في الكتب المختصة .

الأسلوب الرابع : الكناية ، هي كل ما فهم من الكلام ومن السياق من غير أن يذكر اسمه صريحاً ، مثل : قوله تعالى (فأصبح يقلّب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها) ، فتقليب الكفين كناية عن الندم والحزن . (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة أبوابها ، كناية عن حبسهم المخلّد فيها .

وما ذكرناه اعلاه من اساليب البيان القرآنية لا يعدو عن كونه ذكرٌ لبعضها وأنّ أصحاب الأختصاص قد صنّفوا في كل موضوع تقريباً كتاباً خاصاً به يوضح البيان القرآني في ذلك الموضوع ، انظر مثلا ً كتاب (تلخيص البيان في م جازات القرآن) للشريف الرضي ، و (أساليب البيان في القرآن) للسيد جعفر الحسيني .

أنسنة القرآن أو (أنسنة النصّ القرآني)

قبل البدء لا بدّ من توضيح العنوان ؛ معنيان يتبادران للذهن منه - من العنوان - ، أحدهما قريب والثاني أبعد منه نسبياً وهما :

١. أن القرآن في الأصل غير مُعدّ للإنسان ، وبالتالي يحتاج الى معالجة معيّنة لآياته وسوره لكي يكون موائماً للتعامل البشري على نحو الفهم او التطبيق ..

٢. أن القرآن هو كتاب خاص بحياة الإنسان ، وأُعد بشكل يكون فيه مهتمّاً بكافة شؤون البشرية ويشمل جميع جوانبها ، على المستوى الفردي والإجتماعي .. ولكن المشكلة تكمن في مستوى وشكل التعاطي مع القرآن الكريم وطريقة الاستفادة منه ، لنقل المشكلة في المتفاعل وليس بـ القابل والمتفاعَل ..

ولا شك ولا ريب أننا نريد المعنى الثاني ، لأن بطلان الأول لا يحتاج الى اثبات ولا توضيح أصلا ً .. وبنفس الوقت نكون عن معنى أنسنة النصّ القرآني وفق معجم مصطلحات الحداثة أبعد ، والذي يعني عندهم : رفع الجانب الغيبي عن القرآن وتجريده عن قداسته والتعامل معه كجهد إنساني وبشري متفرّد .. ! نعم ، تعامَلنا مع القرآن الكريم - نحن المسلمون - بنسخته الإسلامية ولم نتعامل معه بنسخته الإنسانية العابرة لحدود وأُطر العقيدة ، والمتعدية

للمساحة الزمنية والمكانية لنزول القرآن ، والمستقرّة في دائرة الإنسانية بما هي إنسانية بغض النظر عن شكل ومستوى حضارتها وديانتها واهتماماتها .. ! فكما أن في القرآن الكريم مطالب وإرشادات وأحكام تهمّ حياة المسلم و المسلمين .. فإن فيه ايضاً ما يهمّ البشرية ما يمكن أن يكون أكثر وأوسع ، مما يجعل وضع قيد العقيدة الإسلامية كشرط للإستفادة من آيات القرآن قيداً احتكارياً ظالماً لهذا الكتاب الحياتي العظيم للبشرية ..

وهذا ما يؤدي بنا ونحن في طريق تعميم وأنسنة القرآن الكريم الى تقسيمه على أقسام ثلاثة :

الأول : فلسفة آيات القرآن الكريم : بمعنى المنطلقات العامّة لآيات القرآن والقواعد الجوهرية التي صدرت عنها ، من قبيل الدراية بطبيعة الإنسان وإمكانياته وأبعاده النفسية و العقلية والجسمية ، وعلاقته بما يدور حوله من طبيعة .. الخ ، أضف الى ذلك خلفية وجوده على الأرض وفلسفتها ..

الثاني : مقاصد آيات القرآن : فهناك مقاصد وغايات للقرآن الكريم ، قد تتحلل الى مقاصد جزئية تضمها آية او أكثر ، ثم تتجمع وتتركب في مقصد جامع كبير يتضمن الصورة النهائية التي يريدها القرآن للإنسان والحياة الكاملة للبشرية ..

الثالث : هو هذه النسخة الإسلامية الموجودة بيننا و المتركبة من كلمات وآيات وسور ، تشكلت على شكل مفردات وتراكيب وأساليب لغوية ، وحملت معاني ومقاصد متنوعة ..

فعندما نتعامل مع القسم الثالث فقط ونجرده من القسمين الآخرين ، ونهتم به كتلاوة وضبط للكلمات ، واتباع أوامره الخاصة بالمسلم ، من صلاة وصوم وزكاة وعلاقات إسلامية بين المسلمين او بينهم وبين غيرهم .. الخ بحيث يكون المدار مداراً اسلامياً .. نكون قد احتكرنا القرآن الكريم لنا ولم نقدّمه ككتاب جاء الى الإنسانية جميعا .. !

بينما .. عندما نقدم القرآن الكريم ومعه فلسفة آياته من جهة ومقاصدها من جهة أخرى ، نكون قد قدّمناه كاملا ً ، وحجّته تصبح دامغة ، وأسباب التعامل معه تكون موجِبة لـ لآخر ..

ويمكن أن نفهم هذا الأمر من قول أمير المؤمنين ع في وصيته الخالدة : (اللّٰه َ اللّٰه َ فِي الْقُرْآنِ، لا َ يَسْبِقْكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ) ، اذا فهمنا من (غيركم) هنا بمعنى (غير المسلمين) ، نكون قد فهمنا أن القرآن قابل للعمل به بغير صبغته واجواءه الإسلامية ..

ولقد أشار القرآن الكريم في عدد من آياته الى العلاقة بينه وبين الإنسان بما هو إنسان وحسب التعبير القرآني ب (الناس) ، وهي علاقة قابلة للتفاعل والتعاطي خارج حدود الدين والعقيدة ، كما في الآية الكريمة من سورة الزمر ٢٧ : { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }

قراءة القرآن قراءة إنسانية ، مع تفكيك وتحليل عباراته بـ الشكل الذي نفهم منه المنطلقات والمبادىء العامة لنصوصه الكريمة ومنطلقاته الأساسية التي اعتمد عليها ثم معرفة مقاصده وما يريد أن يؤول إليه الإنسان ، واستخراج القواعد الفكرية والعملية للبشرية في جميع شؤونها بما ينسجم مع فلسفة القرآن ومنطلقاته من جهة وأهدافه وما يريد أن يصل إليه من جهة أخرى .. هو ما نعنيه من أنسنة النصّ القرآني هنا ..

وفي الوقت الذي نؤمن به أن التعامل مع القرآن الكريم تحت ظل الإسلام هو التعامل الأكمل فهماً وتطبيقاً لهذا الكتاب العظيم .. الا أنّ هذا لا يمنع من الخروج عن هذه الدائرة - عندما يُراد تصديره وتعميمه - في حال عدم التمكن منها ، والتعامل مع الكتاب الشريف بالدائرة الإ نسانية الأوسع والتي تسمح للمتعامل معها أن يكون خارج العقيدة والدين الرئيسي للكتاب المجيد ..

عالج القرآن الكريم الكثير من الأوضاع الإنسانية كأفراد ومجتمعات ، ووضع أهم النقاط التي تهمّها خلال مسيرتها في هذه الحياة ، وبالتأكيد أن استقصاء كل الجوانب القرآنية الإنسانية تحتاج الى جهود جبّارة من قبل متخصصين في كل مجال على حده ، الا أننا يمكن أن نضع بعض الإشارات لبعض الجوانب من أجل توضيح الفكرة من هذا المقال ..

ففي الجوانب الاجتماعية مثلا ً ، أغناها القرآن الكريم وصفاً وتقعيداً ، فأعطى الكثير من السنن الإجتماعية

التاريخية التي تحكم المجتمعات البشرية والتي تنزل منزلة القانون الذي لا يختلف ولا يتخلف وتكون نتائجه متساوية كلما تساوت مقدماته ، قال تعالى { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } (ال عمران ١٣٧) ، ومن هذه السنن مثلا ً يوضح القرآن سبباً مهماً من أسباب انهيار وهلاك المجتمعات والدول ، قال تعالى { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا } الأسراء ١٦

وفي الجانب الاقتصادي ايضاً ، ففي القرآن أهم أركان الا قتصاد البشري ، سواء ما كان متعلقاً بمصادر الثروة أم بانواع الملكية أم بنظام الرعاية والتكافل الاجتماعي { إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } البقرة ٧١ ، أو بنظام الضرائب ، كالزكوات وا لأخماس .. الخ ، وكذلك يتدخل في بيان شؤون بعض المعاملات التجارية ، كالبيع والقرض والربا { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ } البقرة ٢٧٥ ، والتطفيف بالميزان { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } ا لاعراف ٨٥ وغيرها .. وهذه كلها عبارة عن قوانين بشرية لها آثارها الوضعية وليس لها علاقة بعقيدة المجتمع أو هويته الدينية ، ونتائجها السلبية او الايجابية لا تنتظر ثواب وعقاب الأخرة ..

وهكذا في الكثير من شؤون الفرد والأسرة والجماعة و المجتمع .. لا يسع المجال هنا الإشارة اليها جميعها ..

القصد من هذا المقال هو أن القرآن كتاب حياة الإنسانية في هذا الوجود ، لا ينحصر التعاطي معه داخل الإطار الإسلامي فقط - وإن كان هو التعاطي الأكمل - ، ففيه من القواعد والأصول والفروع التي تغطي أهم مجالات البشرية وتستطيع أن تنتفع منها بغض النظر عن هويتها الدينية ، وهذا ما ينبغي العمل عليه خاصة اذا استطعنا أن نقدم النصوص القرآنية بشكلها الإنساني العام ومعها فلسفاتها ومقاصدها العامّة ..

قال تعالى { وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ } النمل ٩٢

تاريخية القرآن الكريم

" تنتسب التاريخية (historicité) إلى التاريخ (histoire) مما يحيل إلى الماضي ، وإلى قطيعة مع الحاضر أو المستقبل . فتاريخية شيء ما يعني تجاوزه الحاضر ولم يعد سوى ذكرى أو تاريخ " .. هذا بحسب المصطلح العام ..

أمّا خصوص تاريخية القرآن فهي مما كثر الجدال والنقاش حوله بعد أن دعى اليها أصحاب الحداثة والتجديد ، من كتّاب ومفكّرين ومتأثرين ..

وعلى الرغم من اختلاف تلك الدعوات في بعض التفاصيل الى أنّ لهم جامع معرفي واحد ، وهذا الجامع المعرفي نأخذه من رأي محمد آركون :

التاريخية عند محمد آركون فيما تعني : (التحوّل والتغيّر ، اي تحوّل القيم وتغيّرها بتغيّر العصور والأزمان) - من الا جتهاد الى نقد العقل الاسلامي ص٢٦

أما تاريخية القرآن عنده فنأخذ معناها من هاشم صالح ، وهو مترجم أعمال آركون : (ان كل شيء يتغير مع التاريخ .. حتى العقائد والأفكار الأكثر تأصيلا ً ورسوخاً ، العقائد الدينية ، فكرة اللّه والتعالي ، الإيمان ..) - المصدر السابق هامش ١٣٨ .

وطبعاً لا يقصدون هنا المعنى التفسيري لجري القرآن الكريم والذي نصّ الحديث الشريف عليه (إنّ القرآن حيٌ لم يمت ، واته يجري كما يجري الليل والنهار وكما تجري الشمس و القمر) ، وإنما التغيّر عندهم يطال حتى المفاهيم وأنه لا ثوابت ، وبالتالي لا حقائق .. !!

لا أريد أن أتوسع في هذا المنشور بقدر ما لفت انتباهي آيتان من القرآن الكريم أحسبهما خير شاهد على قِدم هذه ا لأفكار والدعوات ، وبالتالي فهي غير حداثوية ..! وفيهما خير ردّ على مدّعيها ومروجيها .. والآيتان هما من سورة الفرقان :

قال تعالى { وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } الفرقان ٥ ، وهذه الآية تثبّت دعوى التاريخية وأنها من أساطير ومتبنيّات التاريخ - أساطير الأ ولين - والتي أصبحت في الحاضر نحو أفكار غير مقبولة وغير قابلة للتطبيق ..

قال تعالى { قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا } الفرقان ٦ ، ما أجمل وأبلغ وأدق الردّ القرآني على هذه الدعوة ، فالقرآن جاء عن خلفية معرفة أسرار الكون ، وترشّح عن معرفة فلسفة قوانين الخلق ، وبالتالي .. آياته غير قابلة للتغيّر والتبدّل لأ نها متجذرة في أعماق الحقيقة وأغوار الواقع ..!

فالذي يتبدل هو من يعتمد في صياغة قوانينه على طريقة التجربة والخطأ ، والذي يتغير هو من يعالج الأمور وفق فرضيات واحتمالات معينة ، وغير الثابت هو من يتعاطى مع جانب أو جانبين وتغيب عنه جوانب أخرى .. أما من عنده أسرار الشيء ، والمحيط به ، فإنّ أحكامه ستكون ثابتة مادام ذلك الشيء موجودا ..

إمامة القرآن أو (القرآن إماما)

تشرفت ذات مرة بزيارة أحد مراجع الدين الكرام في النجف الأشرف ، وكان يفصلني عنه في المجلس شخص واحد ، فسأل هذا الشخص سماحة المرجع عن الفرق بين النبي والإمام فأجابه بما مفاده : انت حينما تصل الى گراج النجف ولنفترض أنك لم تكن تعرف مكان مكتب المرجع الفلاني ، فسألت شخصاً عن مكانه فقال لك أنه موجود في المكان الفلاني وفي الشارع الفلاني وقرب كذا .. الخ ، والى الآن انت لم تصل لبيت الشيخ ، ثم بعد ذلك جاء شخص آخر قد سمع وفهم العنوان من ذلك الشخص فمسك بيدك وجاء بك الى بيت المرجع .. الأول هو وظيفة النبي والثاني الذي اخذ العنوان من الاول ومسك بيدك وجاء بك هو وظيفة الإمام .. انتهى

وإذا رجعنا الى قوله تعالى (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ) وقول رسول الله ص و اله : عليكم بالقرآن، فاتخذوه إماما وقائدا (كنز العمال 4029) . فإننا يمكن ان نفهم من امامة القرآن الكريم من انه لا يكتفي بإعطاء الاهداف والنتائج والتكاليف المطلوبة وانما يتعدى الى توضيح وتفصيل طرق وأدوات الوصول الى تلك النتائج ..

وإمامة القرآن الكريم للمسلم بهذا المعنى تعتبر مرحلة عالية ومتقدمة جداً ، فالقرآن كتاب بيان للناس ، كل الناس ،

اما للمتقين فهو كتاب موعظة وكتاب هداية (هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) ..

فلنأخذ من القرآن كل شيء ، نأخذ منه ما يريده اللّه ونأخذ منه كيفية الوصول الى ما يريده اللّه تعالى .. رزقنا اللّه وإياكم هدى القرآن ونوره وإمامته في الدنيا وشفاعته في الآخرة ..

♧♧♧♧

كيف نعرض ثقافتنا على القرآن

لقد أسّس المعصوم مبدأً اسلامياً ضخماً ينظّم حركة المسلم الثقافية والعلمية والايمانية مع القرآن الكريم ، ألا وهو مبدأ (إعرضوا حديثنا على القرآن) ، فمن باب أولى ان نعرض حديث غيرهم على القرآن الكريم ونرى ما يوافق القرآن منه وما يخالفه ..

وعرض الثقافة الشخصية هذه من أروع انواع التدبر في القرآن من جانب ومن جانب آخر فإن المؤمن ستكون له قراءات جديدة دائماً للقرآن وستنفتح له خزائن آياته اكثر كلما كانت حصيلته الثقافية والعلمية والايمانية اكثر تجدداً وتقدما قبل كل قراءة جديدة ..

فنحن نقرأ عشرات الكتب ومئات المقالات بين فترة وأخرى ، فحريٌ بنا أن نجعل من القراءة القرآنية غربيلا ً لما نقرأ ونأخذ منها الاجازات فيما نعتمد ونبني عليه ..

ليس الأمر بالسهل اكيداً ولكنه ليس بالممتنع يقينا ..

قراءة القرآن تتفرد بإسم اللّه (الأكرم)

(الكريم) من أسماء اللّه الحسنى ولقد ورد في العديد من آيات القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) ..

ولكن ما يلفت الإنتباه هو أن صفة (الأكرم) وهي صيغة أفعل تفضيل من (كريم) (كريم _ اكرم) لم تأت إلا مع قراءة القرآن الكريم حيث قال تعالى في سورة العلق (أقرأ وربك الأكرم) ، فلم يقل (أقرأ وربك الكريم) ..! مما يشير إلى أهمية قراءة القرآن وعظم عطاءها في مقابل العطاءات الالهية التي يتسلمها العبد من أعمال وعبادات أخرى ، فنفهم أن اللّه تعالى كريم في ثوابه في سائر العبادات ولكن في قراءة القرآن يكون أكرم ، وهي نسبة وتناسب وإلا أن عطاء اللّه كله يعتبر بأعلى مستويات التفضيل والمقارنة ..

الأثر السَلبي للعقليةِ الفقهية في التعاطي مع القرآن الكريم

كما هو معروف بأن علماء المذهب ومن لديه صلاحيّة البت في المسائل الدينية المتنوعة (احكام شرعية _ آراء عَقَديّة _ ارشادات اخلاقية _تفسيرات قرآنية .. الخ) هم الفقهاء في الغالب الساحق ..

والفقهاء هم من حصلَ على مرتبة الاجتهاد في علم الفقه وهي أعلى مرتبة فيه .

والسؤال هنا : هل أن علم الفقه قادر على أن يغطّي جميع الفروع العلمية للدين ...؟ ، يعني أن الفقيه هل حصل من علم الفقه القدرة على معرفة الاحكام الشرعية ومعرفة تفسير القران والنظر فيه ومعرفة العقيدة وما يرد فيها وعليها من إشكالات وفلسفات وكذلك معرفة باقي التخصصات الدينية كعلم الاخلاق والتاريخ .. الخ ..؟؟

والجواب بإختصار ومن خلال الاطّلاع على مناهج الحوزة ومقرارتها هو :

ان الفقه المعاصر مهمته تحديد الحكم للشرعي (واجب _ مستحب _ مباح _ مكروه _ حرام) للمواضيع المختلفة ولم يتناول باقي العلوم إلا من خلال صلتها بالأحكام الفقهية وحاجة تلك العلوم للرأي الفقهي .

كالطب مثلا ً : فالفقيه عندما يقول أن الطب واجب كفائي أو أن هذا الدواء او تلك العملية الجراحية تجوز او لا تجوز لا يعني ان الفقيه طبيب ..!!

وهكذا ، بل نجد هذا صريحاً في تعريف المجتهد (الفقيه) في بداية كل رسالة عملية بأنه : القادر على استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية ..

وهذا العلاقة ينبغي ان تعمم بين الفقه وبقية الا ختصاصات ومنها التخصصات الدينية غير الفقه .. وخاصةً القران الكريم وعلومه ..

فمفسّر القرآن ليس شرطاً ان يكون فقيها . في حين أننا نجد أن أغلب التفاسير واهمها هي للفقهاء ، والمفروض أننا لا يعنينا كثيراً عنوان آية الله العظمى لمفسّر القرآن كون هذا اللقب هو فقهي وليس قرآني ..!!

ولهذا فإننا في العصور المتأخرة خسرنا كثيراً عندما جعلنا تفسير القرآن من صلاحية الفقيه وواجباته ، امّا ماذا خسرنا فنقول :

علم الفقه (المعاصر) بطبيعته يبحث عن الحجّة الشرعية من بحثه لا عن واقع الامور وحقيقتها ، والفقه يهتم ببراءة الذمة ويعمل على الحدود التي تضمن عدم دخول المسلم النار ولكنه لا يهتم كثيرا بكسب درجات الجنة وطبقاتها

العالية إذا جاز التعبير .

فعلى مستوى التفسير مثلا : يهتم الفقيه المفسّر بظواهر القران ولا يعطي للتأويل قيمة لأن القاعدة الثابته عنده هي : ظاهر القران حجّة ويضطر احيانا الى الاعتراف ببعض التعابير المجازية ..وهذا ما تجده جليّا في تفسير الميزان فانه لا يهتم بالتأويلات القرآنية حتى الواردة فيها رواية ويعتبرها ليس من التفسير في شيء .

وعلى مستوى القراءات : فالفقه يقرّ بأنه توجد عشر قراءات للقرآن حجّة ويمكن للمسلم قرائتها في حين تجده بقرارة نفسه يعلم ان قراءة واحدة نزل بها القران الكريم ..

وعلى مستوى التحريف : فالقران الذي بين ايدينا هو القران لان الفقه يقول وحسب قواعده ان هذا القران كان موجودا ايام المعصومين ولم ينهوا عنه .. في حين اننا نعلم اجمالا ان يد التلاعب قد طالت القران بقدر معين على الاقل ..

وهكذا : وعليه يمكنني القول ان سيطرة العقل الفقهي على القران سيحرمنا كثيرا من عطاء القران وامتيازاته ، نعم نحتاج الى ان يرقى المتخصصون القرآنيون الى درجات علمية عالية بحيث تكون عندهم هذه الصلاحية في اختصاصهم وعزل العقل الفقهي عنها .. ويتطلب من الفقهاء بما هم فقهاء ان يتركوا هذا المجال لغيرهم ويعملوا على تفعيل خطوط حوزوية غير فقهية تعمل على تخريج علماء قرآن وأخلاق وعقائد وخطابة .. الخ

** منطق الاشياء يدعونا الى التوسع في التقليد ..

لمّا كان التقليد هو منطق رجوع الجاهل الى العالِم ، فإننا قطعاً نحتاج الى توسيع تخصصات المراجعة في التقليد ، و لا أقصد هنا تخصصات العلوم التجريبية كالطب والهندسة وغيرها فهذا حاصل فعلا وانما في التخصصات الدينية الا خرى ..

فواقعا نحتاج الى مجتهد في تفسير القران بحيث يكون قوله حجّة وكذلك نحتاج الى مجتهد في علم الاخلاق و العقيدة وهكذا .. فهذه علوم شرعية تترتب عليها وظيفة عملية مهمة ، فلماذا نقحم الفقيه بذلك ما دامت دراسته الفقهية لا تساعده كثيراً على هكذا تخصصات وإن أراد أن يكون عالماً بها عليه ان يعتمد على جهده الذاتي في تحصيلها ويتمرد قليلا ً او كثيراً على مقررات الحوزة ومناهجها ..

فلو انطلقنا فعلا من الان في تشكيل حوزات تخصصية اخرى غير فقه الاحكام سننتج ولو بعد حين مجتهدين في القرآن والعقيدة والاخلاق ..

** المباني القرآنية

الاجتهاد الفقهي عبارة عن مباني فقهية يكون للمجتهد رأي خاص بها ثم يمارس تطبيقها ، وكذا الدراسات القرآنية المتنوعة فإنها تتضمن

العديد من المباني والقواعد التي تحتاج الى تدقيق وتحقيق من قبل المختصين ، منها قواعد آلية ومشتركة

مع باقي العلوم (كالفقه واللغة والرجال والتأريخ والعلوم المتنوعة ..) ومنها ما تكون خاصة بالقرآن الكريم ومنحصرة به .

فمناهج التفسير بحد ذاتها هي عبارة عن مباني ، وكذا قواعد التفسير وأدواته ، وعلوم القرآن الاخرى كالناسخ و المنسوخ والمحكم والمتشابه واسباب النزول والقراءات القرآنية والرسم القرآني .. الخ هي من الناحية العلمية غير متفق على الكثير من تفاصيلها وتحتاج الى اجتهاد واعتماد ..

** دعوات لتوسعة الفقه

لم يكن التفقه في الدين في العصور الاسلامية الاولى وما تلاها مقتصرا على معرفة الاحكام الشرعية كما هو الآن ، وإنما كان الفقيه متبحرا بجميع فروع الدين وهذا واضح من مؤلفاتهم التي وصلتنا عنهم بل هو هذا المعنى الحقيقي للآية المباركة (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) .. فالآية واضحة بأن المطلوب هو التفقه في الدين كل الدين وليس جزء دون آخر ..

ولهذا سمعنا مؤخرا عدة دعوات من داخل الحوزات العلمية

الى ضرورة توسيع الفقيه في لياقاته العلمية الى علوم دينية واسلامية اخرى غير الفقه والاصول وما اتصل بهما ..

البعد الرابع في القرآن الكريم ، نظرة خاطفة

لقد اثبتت علوم وتجارب الفيزياء النظرية ان الزمن هو البعد الرابع للأشياء في هذا الوجود يُضاف الى الابعاد الثلاثة الهندسية المعروفة والتي تمثل بمحاور (x,y,z) لتصبح الابعاد اربعة وتسمى احياناً بالزمكان (x,y,z,t) , وانما يقولون ذلك لبيان تأثر الزمن بعوامل فيزيائية معينة كالسرعة والجاذبية وغيرها مما يكسبه بعض صفات تلك

المحاور والابعاد ..

فوجدوا مثلا ً ان الجسم كلما اقترب من سرعة الضوء فإن الزمن يتباطىء اكثر بالنسبة له ، فسنة واحدة بسرعة الضوء تعادل عشر سنوات على الارض تقريباً .. وهكذا بالنسبة للجاذبية حيث وجدوا ان لكل كوكب زمنه الخاص مقارنة بباقي الكواكب تبعاً لمقدار جاذبيته ..

والسؤال هنا : عندما يقارن القرآن الكريم بين بعض الازمان الارضية والازمان السماوية ، كقوله تعالى : (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) ، وقوله تعالى (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) ، فهل هذا من تطبيقات هذه الحقيقة (او النظرية) الفيزيائية المتقدمة ..؟ ام ماذا ..؟

وبكل سهولة يكون الجواب ان هذه النظرية الفيزيائية ان لم تعط تفسيراً علميا لهذه الفروقات الزمنية في الايات فإنها تجعلها بحدود المنطق العقلي والعلمي على الأقل .. فتأمل ..

وعندنا آية مباركة اخرى تقارن بين زمنين ، هي (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) ، ورغم ان بعض التفسيرات جاءت لتجعل المقارنة بين زمنين على الارض الا اننا يمكننا ان نحتمل وفقاً للسياق القرآني الخاص بهكذا مقارنات زمنية ان الآية تريد ان تقول لنا ان حساب الارض لهذه الليلة يتوقف وتتغير اعداداتها وبشكل تكون موافقة لحسابات السماء ، فيتباطىء الزمن في هذه الليلة ليصبح مقداره الف شهر في السماء واكثر (خيرٌ) ، ولعل هذه من اشكال البركة التي اتصفت فيها هذه الليلة ايضاً حيث قال

تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) .

♧♧♧♧

القران الكريم مائدة الله في الارض

خلق اللّٰه تعالى الإنسان وهو بحاجة الى غذائين مهمّين لا بد منهما وبدونهما يكون متلكئاً في اداء مهامّه الموكلة له ومتخلّفاً عن ركب الانسانية ومسيرتها نحو اهدافها العليا :

الأول : هو الغذاء المادي الذي يحتاجه جسم الإنسان من مأكل وملبس ومسكن وسائر متعلقاته الحياتية الاخرى ، فمتى ما اصبح هذا الغذاء أقل مما يحتاجه الإنسان فإنه سيكون عائقاً حتى في كسب الغذاء الثاني - وهو الروحي - أو الاستفادة منه .

الثاني : هو الغذاء الروحي ، وهو ما تحتاج اليه النسخة السامية من الانسان وما تتطلبه أبعاده غير المرئية منه ، من روح وعقل وقلب ، فهذا الغذاء يتكفل بسد سغبها وإرواء ظمأها ، فالعلم مثلا ً من غذاء العقل والعبادة من غذاء الروح والمحبة من غذاء القلب ..

ولقد توفر القرآن الكريم على كلا القسمين ، فتارة من خلا ل الإشارة الى اهميتهما وتارة من خلال بيان مواردهمها ومصادرهمها وتارة يقوم بتنظيّم العلاقة معهما وطرق واسلوب الاستفادة منهما .. الخ

الا أن اعظم ما يقدّمه القرآن الكريم في هذا الاتجاه هو تكفّله بتلبية ما يحتاج اليه الانسان من هذين الغذائين بنفسه وبشكل يكون فيه مائدة السماء على هذه الارض ، ولكن هذه التلبية القرآنية متوقفة على حُسن التعاطي مع القرآن وإتقان التناول من مائدته الروحية والالهية للبشر ..

ولقد قدّم الكتاب المجيد بنفسه للناس قائمة من الاطباق

التي يوفرها في مائدته هذه وانواع مما يضعه على مأدبته وبكرمٍ انقطع نظيره ، وكيف لا وهو يصف نفسه (إنّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) الواقعة 77 ، ومن كرم هذه المائدة واصنافها :

* هدىً ، قال تعالى (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) البقرة 2

* نور ، قالى تعالى (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ) الشورى 52

* شفاء ورحمة ، قال تعالى (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۙ) الاسراء 82 ، وعن الامام علي(عليه السلام) : (واستشفوا بنوره فإنّه شفاء لما في الصدور) النهج / خ 110

* موعظة ، قال تعالى (هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) ال عمران 138

* فرقان ، قال تعالى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) الفرقان 1

*بصائر ، قال تعالى (هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) الجاثية 20

* مبارك ، قال تعالى (وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) الانعام 155

وغيرها من العطاءات الالهية التي تندرج تحت قاعدة (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) الاسراء 89 ، وكذلك قاعدة (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ) ا لانعام 38

ولا بد من الاشارة الى أن من أهم الأوقات والحالات التي تمر على الإنسان المسلم بحيث تكون هذه المائدة ممتلئة باكثر الأطباق القرآنية (كما اسميناها) تنوعاً وتكون اقرب الى تناول اليد وأن ثمراتها اكثر فائدة وأعظم أثر هو في شهر رمضان ، فلقد ورد في فضل هذا الشهر الشريف أنه ربيع القران ، وهو الشهر الذي أنزل فيه القران كما ورد في الكتاب المجيد ، فحري بنا ان نستزيد منه ونعيش أوقاته لحظة بلحظة ، فإن الواهب كريم ..

♧♧♧♧

اللغة العربية وعاء القرآن الكريم وحضارة الكلمة

الحديث عن الحضارات هو حديث قديم متجدد ولا زالت موضع افتخار الأمم وعلى اطلالها تسعى الى بناء المستقبل ..

ولكل حضارة ما يميزها عن الحضارات الأخرى ، تارة تتميز بالبناء والقوة كالفرعونية وتارة بالفكر والفلسفة ك اليونانية وثالثة ببعض الاختراعات الحرفية كالسومرية وهكذا ..

وكذا الديانات السماوية ، فلكل ديانة أدلتها ومعاجزها الخاصة التي تثبت بها هويتها ، فهذه الديانة تفتخر ان نبيّها قد فلق اللّه له البحر ، وتلك تقول ان نبيها يحيي الموتى .. وهكذا ايضا ..

ولكن لا نجد أمة وديانة استطاعت ان تؤسس حضارتها وتبني مجدها وترسّخ وجودها وتؤمّن مستقبلها وتمتد لتلتهم حضارات وديانات قائمة كبيرة في الجوار منها وموعودة ببسط يدها على جميع حضارات وديانات المعمورة كل ذلك اعتمادا على لغتها ولسانها كالأمتين العربية والاسلامية ، فاللغة العربية هي الأساس والمنطلق الذي كانت العرب قبل الاسلام تتطاول به مع باقي الأمم وجاء الاسلام ليؤكد ذلك ويستند على هذه اللغة وينطلق منها في اثبات وجوده وتحقيق اهدافه وغاياته والتي هي غاية الغايات باعتباره خاتم الديانات ، فلازالت هذه اللغة هي مادة وجود هاتين الأمتين وسبب بقاءها وتطورها في مختلف نواحي ذلك الوجود والتطور ..

فاللغة العربية على حقيقتها ليست كسائر اللغات الاخرى التي لاتعدوا كونها أداة تفاهم ووسيلة مخاطبة وتعبير فقط ، وانما في هذه اللغة أسرار وخصائص أعظم وأكبر من ذلك بكثير وأنها بحروفهاوحركات اعرابها وقواعد نظمها وتأليفها تستطيع أن تتحول الى قوى مختلفة وفتاكة ، تستطيع أن تجعل من كلمتها شفاء ودواء ، وكذلك تصلح لمن يجيدها ان يحولها الى سلاح وبلاء ، هي أم العلوم وقالب الشريعة ..

وللأسف فقدنا كل ذلك بعد أن ابتعدنا عن نعمة اللغة العربية وجمالها وخزائنها الثرية ولم تعد ثروة كما كانت لأس لافنا العرب الذين استخرجوا منها ما هو أغلى من الذهب و الماس ، خسرنا طاقاتها وهدرنا ثرواتها للأسف ، ولو رجعنا الى شهادات اكابر علماء واعيان الأمة لعرفنا ذلك جليا : فهذا الشافعي يقول : "من نظر في النّحو، رقّ ." .. ويقول ايضا : من تبحّرَ في النحوِ، اهتدى إلى كلّ العلوم .. . بل

اكثر من هذا ، فلقد أُمرنا بالحفاظ على هذه اللغة واستثمارها من قبل رسول اللّٰه ص واهل بيته الاطهار عليهم السلام .

إذ روى أبـو الدرداء عن رسول اللّٰه (ص) أنه قال ((أرشدوا أخاكم فقد ضَلّ)) لأنه سمع رجلًا يلحن بحضرته ، وروي عنه(ص) أنه قال: ((جمال الرجل فصاحة لسانه)) ، وأنه قال (ص) : ((رحم اللّٰه امرءًا أصلح لسانه)) ..

ويكفي فخراً لهذه اللغة أنها أستطاعت أن تكون وعاء للقرآن الكريم وبشكل تؤدي كل خصائصه ومعاجزه وكراماته ، قال تعالى (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) فبها نجد أن القرآن الكريم فيه كل شيء قال تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ، وبها نجد القرآن الكريم فيه شفاء للناس قال تعالى (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) ، وفيه الهدى والنور وخير الدنيا والآخره ..

فلغتنا هويتنا وبها شخصيتنا وعليها مدار حضارتنا .. فلنعطها شيئا من اهتمامنا ولنجعلها في قائمة أولوياتنا .

المستشرقون والقرآن الكريم

الاستشراق بمفهومه المعروف في أيامنا هذه هو (دراسة كافّة البُنى الثقافية للشرق من وجهة نظر غربية لتحقيق أهداف وغايات معينة) .

والاستشراق في الغرب علم يُدرّس وله معاهد خاصة وابتداءً من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى عصور الا ستعمار الغربي للشرق . فاهتموا بدراسة الشرق وأممه السابقة من آشوريين وساميين وسومريين ومصريين وإيرانيين وعرب وأتراك وصينيين وهنود ويابانيين ، وجاء هؤلاء الى الشرق بصفات شتى ، كأطباء ومعلمين وهم بحقيقتهم قساوسة كانوا يمارسون مهنة التنصير بالدين المسيحي .

أمّا فيما يخص أثر الاستشراق (بصفته المسيحية أو اليهودية) على القرآن الكريم فهو ليس جديدا ، فقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك التأثير السلبي لهم في كثير من الآ يات ، قال تعالى (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ، وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) ، (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) . فحاول المستشرقون قديماً وحديثاً بث الشبهات حول القرآن الكريم ومنها ما عرف قديما بالروايات الإ سرائيلية التي أدخلها كعب الأحبار ومن كان على شاكلته ، فمما صدر عنهم قديماً

وحديثا نذكر مثلا :

- إثارة بعض الفلسفات الجدلية اليونانية حول القرآن ، كمسألة خلق القرآن التي أخذت مأخذها في أيام الأمويين حين أثارها يوحنا الدمشقي الذي كان يعيش في كنف البلا ط الأموي .

- أن المفاهيم القرآنية منقولة من التوراة والإنجيل .

- الطعن بشخصية الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) وأن وحيه كان يتأثر برغباته الجنسية كما في قصة زيد

وزينب التي يذكرها القرآن الكريم .

● أن القرآن هو من تأليف النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وقد عاونه أحد حكماء عصره ، كما جاء في مقدمة ترجمة القرآن للمستشرق الانكليزي جورج سيل (١٦٩٧ - ١٧٣٦ م)، وهذا الإتهام ليس حديثاً ، قال تعالى : (ولقد تعلم.أنهم يقولون إنما يعلّمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) .

● قاموا بترجمات محرّفة وغير دقيقة للقرآن الكريم الى لغاتهم بحيث أورثت عند الغرب كرها وعداوة للقرآن والإسلام . وكان في مقدمة المترجمين هو بطرس الكلوني في سنوات (١٠٩٤ - ١١٥٩) للميلاد والذي أقام الحرب الفكرية بترجمة الكتب الإسلامية وفي مقدمتها القرآن الكريم من العربية الى اللاتينية محرّفة ومشوّهة وبعيدة عن الأصل العربي .

● التشكيك بالنصّ القرآني وأنّه تغيّر على مرّ العقود عمّا كان عليه في عهد الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، كما حاول في إثبات ذلك المستشرق الإنكليزي (د. آرثر جفري) .

● تركيز و ترويج الروايات والتصنيفات والاجتهادات الإسلامية الشاذة التي تحطّ من القرآن الكريم أو تثير بعض

الشبهات والاختلافات والخلافات حوله .

- تحقيق بعض الكتب الإسلامية التي تنفع اتجاهاتهم وترجمتها وكذلك تصنيف كتب مختصة بالقرآن الكريم من قبلهم لبثّ فيها سمومهم وتوجهاتهم ، مثل (توافق القرآن و الإنجيل) للفرنسي بوستل ، و (التوراة في الإنجيل) للألماني فايل.. الخ .

فينبغي أن يكون المسلمون عامة والمختصون بعلوم القرآن على وجه الخصوص على حذر من تلك الأفكار و الكتب والشبهات التي نجدها مبثوثة بقصد أو بدون قصد حتى في كتب غيرهم من المسلمين ..

والحمد لله رب العالمين